أئمة الأدب

٥

الفرزدق

بدوي

بقلم

خليل مردم بك

عنيت بنشره

مكتبة عرفة بدمشق

مطبعة الترقي بدمشق

١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م

أئمة الأدب
٥

الفرزدق

بدوي

بقلم
خليل مردم بك

عنيت بنشره
مكتبة عرفة بدمشق

١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م

مطبعة الترقي بدمشق



مطبوعات

مكتبة عرفة بدمشق

بمطبعة الترقي

الفرزدق

بنو تميم من العرب المضرية كانت منازلهم بنجد إلى اليمامة إلى البصرة إلى الغري من أرض الكوفة ؛ ومن أشراف تميم بنو دارم ، ومن دارم بنو مجاشع عشيرة الفرزدق ، نزلوا البصرة وباديتها عند اختطاطها في فتح العراق .

فهو أبو فِرَاس همَّام بن غالب بن صعصعة ينتهي نسبه إلى مجاشع بن دارم ، والفرزدق لقب غلب عليه ، ومعناه القطعة من العجين لأنه كان جهم الوجه أصيب بالجدري في صغره . وآباؤه من أجواد العرب وكرامهم وذوي المناقب والمآثر الحميدة[1] . كان أبوه غالب لا يبارى كرماً وفد على النبي عليه السلام ، وعمِّر حتى لحق علياً بالبصرة ومات في أول خلافة معاوية وقبره بكاظمة . وكان جده صعصعة يشتري المؤودات في الجاهلية كل واحدة بناقتين وجمل فجاء الإسلام وقد اشترى نحو ماية مؤودة وبالغ بعض الرواة فجعلهن أربعماية فقيل له محيي المؤودات ، وهو أول

(١) قال المرزباني في معجم الشعراء : (وبيت الفرزدق من أشرف بيوت بني تميم ومن شرفه أنه ليس بينه وبين معد بن عدنان أب مجهول) .

من أسلم من أجداد الفرزدق قدم على النبي فأسلم وكان يقول الشعر ، وفيه يقول الفرزدق :

وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد

وأم غالب ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس ، وأم الفرزدق لينة بنت قرظة الضبية . وكان للفرزدق أخ اسمه هميم ولقبه الأخطل كان أسن منه يقول الشعر ولكن ليست له نباهة وتوفي قبله ، وكان له اخت يقال لها جعثن .

ولد الفرزدق حوالي سنة تسع عشرة للهجرة في خلافة عمر ونشأ على مايظهر نشأة بدوية لم يتعلم القراءة ولا الكتابة وظل أمياً ولكن أباه روّاه الشعر وكلام العرب وبدأ يقول الشعر وهو صغير روي عنه أنه قال : « كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان » وقال : « كنت اهاجي شعراء قومي وأنا غلام في خلافة عثمان فكان قومي يخشون معرة لساني منذ يومئذ » وخلافة عثمان من سنة (٢٣ — ٣٥) . وقال ابن سلاّم الجمحي في طبقات الشعراء : كان الفرزدق قد رعى غنماً لأهله في صغره فذهب الذئب منها بكبش فقال :

تلوم على أن خالط الذئب ضأنها فألوى بكبش وهو في الرعي راتع

منها :

وما كنت مضياعاً ولكن همتي سوى الرعي مفطوماً وإذ أنا يافع

فكان ذلك أول ما علم به من شعره[1] .

وتنقطع عنا أخبار الفرزدق طيلة خلافة عثمان فإذا كانت خلافة علي ذكر لنا الرواة أن غالباً أبا الفرزدق دخل على علي بالبصرة ومعه ابنه الفرزدق بعد عام الجمل فقال : إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه . فقال علي : علمه القرآن فهو خير له . فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه في وقت وآلى أن لا يحل قيده . حتى يحفظ القرآن .

وتتسلسل أخبار الفرزدق وتطرد منذ تم الأمر لمعاوية ، ذكر الطبري وصاحب الأغاني أن الحُتات بن يزيد أحد أعمام

---

(١) ورد في ديوان الفرزدق طبعة بوشر ص ٢٢٨ مانصه : (وقال الفرزدق وهو أول ماقال من الشعر :

شاهدْ إذا ما كنت ذا محميهْ بدارمي أمه ضبية

صمحمح مثل أبي مكية

وقال الفرزدق في أول ماقاله :

ياحبذا نضحكَ بالمشاعر كأنه تهتان يوم ما[illegible]

الفرزدق وفد مع جماعة على معاوية فخرجت جوائزهم فانصرفوا ومرض الحتات فأقام عند معاوية حتى مات فأمر معاوية بماله فأدخل بيت المال فقال الفرزدق قصيدة منها :

أبوك وعمي يا معاوي أورثا تراثاً فيحتاز التراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أخذته وميراث حرب جامدلك ذائبه

فلو كان هذا الأمر في جاهلية علمت من المرء القليلُ حلائبه

فأغضبت هذه القصيدة زياد بن أبيه أمير العراق من قبل معاوية . وأضيف إلى ذلك أن الفرزدق هجا بني نهشل وبني فقيم فشكوه إلى زياد فازداد غضباً عليه وطلبه فهرب منه وكان ذلك سنة خمسين . وكان زياد يمكث في البصرة ستة أشهر وفي الكوفة ستة أشهر فإذ كان بالبصرة نزل الفرزدق الكوفة وإذا كان بالكوفة نزل الفرزدق البصرة وقد يهيم في البادية فبلغ ذلك زيداً فشدد في طلبه فخرج إلى الحجاز مع دليل فلما كان في الطريق تبعه أسد فقال في ذلك :

ما كنت احسبني جباناً بعدما لاقيت ليلة جانب الأنهارِ

ليثاً كأن على يديه رحالة شثن البرائن مؤجد الأظفار

لما سمعت له زمازم أجهشت   نفسي إليّ وقلت أين فراري
وربطت جروتها وقلت لها اصبري   وشددت في ضيق المقام ازاري
فلأنتَ أهون من زياد جانباً   اذهب اليك محرَّمَ الأسفار

قال لبطة بن الفرزدق فأنشدت زياداً هذه الأبيات فكأنه رق له وقال لو أتاني لأمنته وأعطيته فبلغ ذلك الفرزدق فقال قصيدة منها :

دعاني زياد للعطاء ولم أكن   لآتيه ما ساق ذو حسب وفرا

وقدم الفرزدق المدينة وعاذ بأميرها سعيد بن العاص ومدحه بقصيدة يقول فيها :

ترى الشم الجحاجح من قريش   إذا ما الأمر في الحدثان عالا
بني عم النبي ورهط عمرو   وعثمان الذين علوا فعالا
قياماً ينظرون إلى سعيد   كأنهم يرون به هلالا

فأجاره سعيد . وفي هربه من زياد يقول :

الا من مبلغ عني زياداً   مغلغلة يخب بها البريدُ
بأني قد فررت إلى سعيد   ولا يسطاع ما يحمي سعيد
فررت إليه من ليث هزبر   تعادى عن فريسته الأسود
فإن شئت انتسبتَ إلى النصارى   وإن شئتَ انتسبتَ إلى اليهود

وإن شئتَ انتسبت إلى فقَيم   وناسبني وناسبتُ القرود
وأبغضهم إليّ بنو فقيمٍ   ولكن سوف آتي ماتريد

ويقول أيضاً:

أتاني وعيد من زياد فلم أنم   وسيل اللوى دوني فهضب التهائمِ
فبت كأني مُشعَر خيبرية   سرت في عظامي او سمام الأراقم
زياد بن حرب لن أظنك تاركي   وذا الضغن قد جشمته غيرَ ظالم

ولما أنشد الفرزدق سعيداً قصيدته كان عنده مروان بن الحكم فلما خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال لم ترض أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك: (قياماً ينظرون إلى سعيد ...) فقال له يا أباعبدالملك إنك من بينهم صافن فحقد عليه مروان ذلك.

ثم عزل سعيد وولي مروان مكانه. و كان الفرزدق وهو في المدينة يشرب ويدخل إلى القيان وفي ذلك يقول:

إذا شئت غناني من العاج قاصف   على معصم ريان لم يتخددِ
لبيضاء من أهل المدينة لم تعش   ببؤس ولم تتبع حمولة مجحد
وقامت تخشيني زياداً وأجفلت   حوالي في برد يمان ومجسد
فقلت دعيني من زياد فإنني   أرى الموت وقافاً على كل مرصد

فبلغ شعره مروان فدعاه وتوعده وأمره بالخروج من المدينة وأجله ثلاثاً فقال :

دعانا ثم أجلنا ثلاثاً   كما وعدت لمهلكها ثمودُ

وكتب له مروان إلى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار فارتاب بكتاب مروان فجاء إليه وقال :

مروان إن مطيتي معقولة   ترجو الحباء وربها لم ييأسِ

أتيتني بصحيفة مختومة   يخشى علي بها حباء النقرس

ألق الصحيفة يافرزدق لاتكن   نكداً كمثل صحيفة المتلمس

ورمى بها إلى مروان فضحك وقال ويحك إنك أمي لا تقرأ فاذهب بها إلى من يقرؤها ثم ردها حتى أختمها [1] . قال الفرزدق فخرجت أريد اليمن حتى إذا صرت بأعلى ذي قسي وهو طريق اليمن من البصرة ، فإذا رجل مقبل فقلت من أين وضح الراكب ؟ قال من البصرة ، قلت فما الخبر وراءك ؟ قال أتانا أن زياداً مات بالكوفة ، قال فنزلت عن راحلتي فسجدت ؛ وقلت لو

(١) ولكن وردفي ديوان الفرزدق طبعة بوشر ص ١٨١ آخر سطر ما يدل على أن الفرزدق كان يقرأ (..... وجعل الفرزدق يقرأ الكتب ..... الخ) .

رجعت فمدحت عبيدالله بن زياد وهجوت مروان بن الحكم فقلت:

وقفت بأعلى ذي قسي مطيتي أمثل في مروان وابن زيادِ
فقلت عبيد الله خيرهما لنا وأدناهمـا من رأفة وسداد

ولما رثى مسكين الدارمي زياداً بقوله :

رأيت زيادة الإسلام ولت جهاراً حين ودعنا زيادُ

قال الفرزدق لمسكين ولم يكن هجا زياداً حتى مات :

أمسكين أبكى الله عينك إنما جرى في ضلال دمعها فتحدرا
بكيت امرأ من آل ميسان كافراً ككسرى على عدّانه او كقيصرا
أقول له لمـا أتاني نعيه به لا بظبي بالصريمة اعفرا

وفي موت زياد يقول :

أبلغ زياداً إذا لاقيت مصرعه أن الحمامة قد طارت من الحرمِ
طارت فما زال ينميها قوادمها حتى استغاثت إلى الانهار والاجم

وكانت إقامة الفرزدق بالحجاز ثلاث سنوات ولم يعد إلى البصرة إلا بعد موت زياد سنة ثلاث وخمسين .

ومن الحوادث الهامة في حياة الفرزدق المهاجاة التي وقعت بينه وبين جرير فقد دامت نحواً من خمسين سنة كانا فيها فرسي رهان .

ويغلب على الظن أنها حدثت بينهما في أواخر أيام معاوية لأن يزيد بن معاوية تمثل أمام أبيه بقول جرير :

فأنت أبي مالم تكن لي حاجة   فان عرضت فانني لا أباليا

وهو بيت من قصيدة هجا بها الفرزدق . وسبب المهاجاة هو أن البعيث المجاشعي الشاعر هجاه جرير ونال من نساء مجاشع وكان الفرزدق إذ ذاك بالبصرة قد عاهد الله على حفظ القرآن فقيد نفسه وحلف أن لا يطلق قيده حتى يحفظ القرآن . وبلغ نساء بني مجاشع فحش جرير بهن فأتين الفرزدق وهو مقيد فقلن له قبح الله قيدك فقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم ، فأحفظنه ففض قيده ثم قال يهجو البعيث ويعرض بجرير من غير أن يصرح باسمه :

إلا استهزأت مني هنيدة ان رأت   أسيراً يداني خطوه حلق الحجلِ

ولو علمت أن الوثاق أشده   الى النار قالت لي مقالة ذي عقل

لعمري لئن قيدت نفسي لطالما   سعيت وأوضعت المطية للجهل

ثلاثين عاماً ما أرى من عماية   إذا برقت الا شددت لها رحلي

أتتني أحاديث البعيث ودونه   زرود فشامات الشقيف إلى الرمل

فقلت أظنّ ابن الخبيثة أنني   شغلت عن الرامي الكنانة بالنبل

فأن يك قيدي كان نذراً أنذرته   فما بي عن احساب قومي من شغل
أنا الضامن الراعي عليهم وإنما   يدافع عن احسابهم أنا أو مثلي

إلى آخر القصيدة . فنقضها جرير بقصيدة هجا بها البعيث والفرزدق مصرحاً باسمه أولها :

عوجي علينا واربعي ربة البغل   ولا تقتليني لا يحل لكم قتلي

فاضطر حينئذ الفرزدق أن يبرز لخصمه فأجابه بقصيدة كانت أول قصيدة هجا بها جريراً صراحة ، وقرن معه البعيث ومطلعها :

ألم تر أني يوم جو سويقة   بكيت فنادتني هنيدة ماليا

واستمرت هذه المهاجاة بينهما منذ ذلك الحين إلى أن مات الفرزدق .

ومن الحوادث التي كان لها أثر في حياة الفرزدق وشعره زواجه بابنة عمه النوار ابنة أعين بن ضبيعة ، وخبر ذلك : أن النوار خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته ، وكان الفرزدق وليها ، فأرسلت إليه أن زوجني من هذا الرجل ، فقال لا أفعل أو تشهديني أنك رضيت بمن زوجتك ففعلتْ ، فلما توثق منها قال أرسلي إلى القوم فليأتوا فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع ، وجاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قد علمتم أن النور قد ولتني أمرها وأشهدكم أني قد زوجتها نفسي على

مائة ناقة حمراء سود الحدقة، فنفرتْ من ذلك وشخصت إلى ابن الزبير بمكة ، وهو يومئذٍ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة ، واستجارت بخولة بنت منظور بن زبان زوج ابن الزبير · ولحقها الفرزدق ونزل على بني عبدالله بن الزبير فاستنشدوه واستحدثوه ، ثم شفعوا له إلى أبيهم ، فجعل يشفّعهم في الظاهر حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه ، فقال الفرزدق في ذلك :

أمّا بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشُفِّعتْ بنتُ منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وسفر بينهما رجال من بني تميم كانوا بمكة ، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة ويصيرا على حكم بني تميم · فلما بلغا البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها ومكثت عنده زماناً على كره ترضى عنه حيناً وتخاصمه حيناً · وكانت امرأة صالحة · وقد تزوج عليها ليغيظها فلم تزل ترقّه وتستعطفه حتى أجابها إلى طلاقها وأخذ عليها أن لا تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلاً بعده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له · وكان ندمه شديداً بعد أن طلقها وفي ذلك يقول :

ندمت ندامة الكسعي لما غدتْ مني مطلقة نوارُ

ولو أني ملكتُ يدي وقلبي لكان علي للقدر الخيار
وكانت جنتي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجه الضرار
وكنت كفاقئٍ عينيه عمداً فأصبح ما يضيء له النهار

وماتت النوار في حياته وله فيها منذ تزوجها إلى أن ماتت أشعار كثيرة .

والفرزدق على شهرته وكرم بيته لم يكن له كبير حظ عند أكثر ولاة العراق لتقلبه وخبث لسانه . فقد مرَّ أنه هرب من زياد بن أبيه إلى الحجاز ولم يعد إلى البصره إلا بعد موت زياد . ولم يضطهده عبيدالله بن زياد عامل العراق ، فلما مات يزيد بن معاوية سنة أربع وستين وضعف ابنه عن القيام بالأمر من بعده خلع أهل البصرة ابن زياد واختاروا والياً عليهم عبدالله ابن الحرث الملقب ببه و كتبوا إلى ابن الزبير بالبيعة وفي ذلك يقول الفرزدق :

وبايعت أقواماً وفيتُ بعهدهم وَبَبَّةُ قد بايعته غير نادمِ

فلما استعاد عبد الملك العراق وولى أخاه بشراً الكوفة والبصرة سنة أربع وسبعين مدحه الفرزدق [1] فقربه بشر و كان

---

(١) انظر ابن عساكر ج ٣ ص ٢٤٩

يؤثره ولكن أيامه لم تطل بل مات بالبصرة سنة خمس وسبعين ورثاه الفرزدق قائماً على قبره . فلما ولي الحجاج سنة خمس وسبعين خافه الفرزدق كثيراً وتقرب إليه بالمدح وغلا في تقريظه فلم يصب بسوء . أما آل المهلب فقد هجاهم ومدحهم . ولما ولي عمر ابن هبيرة العراق من قبل يزيد بن عبد الملك قال الفرزدق :

أمير المؤمنين وأنت عفٌّ كريم لست بالطبع الحريصِ
أأوليت العراق ورافديه فزاريا أحذَّ يَدِ القميص
ولم يك قبلها راعي مخاض ليأمنه على وركي قلوص
تفنن بالعراق أبو المثنى وعلم أهله أكل الخبيص

وهجاه بغير ذلك فحبسه عمر ثم أطلقه . فلما عزل وحبس مدحه الفرزدق فقال مارأيت أكرم منه هجاني أميراً ومدحني أسيراً .
ثم ولي خالد بن عبدالله القسري من قبل هشام بن عبد الملك فقال الفرزدق :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية أتتنا تخطى من دمشق بخالدِ
وكيف يؤم المسلمين وأمه تدين بأن الله ليس بواحد

فحقد عليه وتربص به الدوائر واعتل بهجائه نهر المبارك الذي حفره خالد فأمر بحبسه فخاف الفرزدق كثيراً ومدح خالدا وهو محبوس

واستجار بهشام ومدحه كثيراً وكان مما قاله في السجن :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فعجل هداك الله نزعك خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لأمه وهدم من بغض الصلاة المساجدا

فأمر هشام باطلاقه ·

وعمر الفرزدق طويلاً ونيف على التسعين وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ وقيل سنة ١١٢ وقيل سنة ١١٤ وقبره بالبصرة في مقابر بني تميم · وكان مرضه ذات الجنب وقيل الدبيلة فوصف له أن يشرب النفط الأبيض فقال لابنه لبطة يابني عجلت لأبيك شراب أهل النار · وأوصى وهو في مرضه بعتق عبيده بعد موته وبدفع شيء من ماله إليهم فلما احتضر جمع سائر أهل بيته وأنشأ يقول :

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمر جل عن الخطاب
إلى من تفزعون إذا حثوتم بأيديكم عليّ من التراب

فقال له بعض عبيده الذين أمر بعتقهم : إلى الله ، فأمر ببيعه قبل وفته وأبطل وصيته فيه ·

ومن زوجات الفرزدق النوار بنت اعين بن ضبيعة المجاشعي وليست أول زوجته لأنه يقول :

وقد سخطت مني نوار الذي ارتضت ... به قبلها الأزواج خاب رحيلها

وقد طلقها كما مرّ . وحدراء بنت زيق الشيباني توفيت قبل أن يبني عليها . ورهيمة بنت غني النمرية نشزت فطلقها وقال من أبيات :

لها بشر شثن كأن مضمه ... إذا عانقت بعلاً مضم قتادِ

قرنت بنفسي الشؤم في ورد حوضها ... فجرعته ملحاً بماء رماد

وما زلت حتى فرق الله بيننا ... له الحمد منها في أذى وجهاد

وظبية ابنة حالم من بني مجاشع تزوجها بعد أن اسن فنشزت منه . وورد في شعره ذكر امرأة له اسمها سويدة قال : (الديوان طبعة بوشر ص ١٣٢) .

ألا زعمت عرسي سويدة أنها ... سريع عليها حفظتي للمعَاتِبِ

عدا من ملكت يمينه . وكان يحب التزوج بالزنجيات .

وأما أولاده فقد ذكرهم صاحب الأغاني فقال : وكان له من الولد خبطة ولبطة وسبطة هؤلاء هم المعروفون ؛ وكان له غيرهم فماتوا ولم يعرفوا . وكان له بنات خمس أو ست ذكر منهن واحدة اسمها مكية كانت امها زنجية وكان الفرزدق إذا حمي الوطيس وبلغ منه الهجاء يكتني بها ويقول :

ذاكم إذا ما كنت ذا محميهْ   بدارمي   امه   ضبيهْ

صمحمح يكنى أبامكيهْ

وكان ابنه لبطة من العقعة وفيه يقول :

أأن أرعشتْ كفا أبيك وأصبحت   يداك يدي ليث فانك جاذبهْ

إذا غالب ابن بالشبـاب أباً له   كبيراً فان الله لابد غالبه

وذكر للبطة هذا ولد اسمه أعين وانقطع نسل الفرزدق من جهة أولاده الذكور . وكان للفرزدق حلقة خاصة في المربد، وكان له رواة يكتبون شعره ويروونه منهم ابو شفقل وعمرو بن عفراء الضبي وعبيد بن حنظلة وعبد الله بن زالان وعبد الله بن عطية وابن مشوبة .

صفته وأخلاقه

كان الفرزدق قصيراً ضخماً ذا وجه جهم مدور مجدور، أصلع يرسل ما وراء صلعته من شعره ضفيرتين يخضبهما مع لحيته بالحناء قال:

خضبت بجيد الحناء رأسي ليعقب حمرة بعد البياضِ
هما لونان من هذا وهذا كلا اللونين لست له براض

وقال جرير وسماه بالقريد الأصلع :

ولقد صككتُ بني الفدوكس صكةً فلقوا كما لقي القريد الأصلعُ

وقال :

وهل كان الفرزدق غير قرد أصابته الصواعق فاستدارا

وقال يعيره القصر والثرثرة :

وإذا بطنتَ فأنت يا ابن مجاشع عند الهوان جُنادف ثرثارُ

وكان الفرزدق صغير القدمين، يعتم بعمامة كبيرة شبهها صاحب الاغاني بالمنسف، ووصف ثيابه ابراهيم الزهري فقال: (طلع الفرزدق علينا في حلة أفواف يمانية موشاة له غديرتان)

وكان في مواقف المفاخرة يرتدي الألبسة الفاخرة، قال الحجاج يوماً له ولجرير إيتياني في لباس آبائكما في الجاهلية، فلبس

الفرزدق الديباج والخز وقعد في قبه[1] ولبس جرير درعاً وتقلد سيفاً وأخذ رمحاً وركب فرساً وأقبل في أربعين فارساً وقال في ذلك :

لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كُرَّجٍ وخلاخله

أعدوا مع الخز الملاء فإنما جرير لكم بعل وأنتم حلائله

وقال :

وبنا يُدافَع كلُّ أمرٍ عظيمة ليست كنزوك في ثياب الكُرَّقِ

والكرق هو الكرج الذي يلعب به المخنثون .

وكان الفرزدق فخوراً تياهاً يفخر بنفسه وبآبائه ، ويعظِّم قبر أبيه ويقدِّس ذكراه ، أخذ على نفسه أن يجير كل من استجار بقبر أبيه . ذكروا أن امرأة أتت الفرزدق فقالت له : إني عذت بقبر غالب ؛ قال ما حاجتك ؟ قالت إن ابني في بعث السند مع تميم بن زيد القيني ، وقد جعلت على نفسي أن لا افارق القبر حتى يرد إلي ابني ، وكان اسم ابنها خنيساً ، فكتب الفرزدق إلى تميم بن زيد :

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعيا علي جوابها

---

(١) قال أبو عبيدة : وقف جرير بالمربد وقد لبس درعا وسلاحاً تاماً وركب فرساً ، فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب وشي وسواراً وقام في مقبرة بني حصن ينشد بجرير . النقائض ص ٦٢٤

فهب لي خنيساً واتخذفيه منة　　لحوبة ام ما يسوغ شرابها
أتتني فعاذت ياتميم بغالب　　وبالحفرة السافي عليه ترابها

فلم يدر تميم اخنيس ام حبيش، فأطلق كل من اسمه على هذا الهجاء .

وأصاب رجل دماً فاستغاث بقبر غالب فافتكه الفرزدق بماية ناقة وفي ذلك يقول الفرزدق :

دعا دعوة بين المقربن غالباً　　وعاذ بقبر تحتــه خير أعظمِ
فقلت له اقريك من قبر غالب　　هنيدة إن كانت شفاء من الدم
ينام الطريد بعدها نومة الضحى　　ويرضى بها ذو الإحنة المتحرم
ألا هل علمتم ميتاً قبل غالب　　قرى ماية ضيفــاً له لم يكلم

وضرب مكاتَبٌ لبني منقر خيمة على قبر غالب ، فقدم الناس على الفرزدق فأُخبروه أنهم رأوا بناءً على قبر غالب أبيه ، ثم قدم عليه المكاتَب وهو بالمربد فقال :

بقبر ابن ليلى غالبٍ عذت بعدما　　خشيت الردي أوأن أردعلى قسرِ
فخاطبني قبر ابن ليلى وقال لي　　فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق صدق أَبي أَنخ أُنخ ، ثم طاف في الناس حتى جمع له كتابته وفضلاً .

وقد أبى عليه كرمه أن يأخــذ ميراثه من زوجه حمراء

بنت زيق الشيباني ، وذلك أنها توفيت قبل أن يبني عليها ، فقال له أبوها وكان نصرانياً ، قد عرفنا في دينكم الذي يصيبك من ميراثها النصفَ فهو لك عندنا ، قال لا والله لا أرزؤك منه قطميراً وهذه صدقتها فاقبضها ، فقال يابني دارم والله ماشار كنا أكرم منكم لأصهاركم في الحياة ، ولا أكرم منكم شركة في الممات .

وكان صافن رجلاً من بني العنبر إداوة في وقتٍ فرامه العنبري وسامه أن يؤثره فلم تطب نفسه عن نفسه فقال[1] :

فلما تصافنا[2] الإداوة أجهشت إليّ غضونُ العنبري الجُراضِم

فجاء بجلمود له مثلِ رأسه ليشرب ماء القوم بين الصرائم

على ساعة لوان في القوم حاتماً على جوده ضنت به نفس حاتم

وهو مع هذا الكرم لا يستنكف من الاستجداء بشعره ، فقد كان في مدحه لخلفاء بني أمية يشكو الخلة ويطلب المعونة ،

---

(١) الكامل للمبرد ج ١ ص ١١١

(٢) تصافن القومُ الماء تقاسموه بالحصص وذلك بان توضع حصاة في أسفل الإناء ويصب فيه قدر ما يغمرها من الماء فيشرب الواحد ثم يصب أيضاً كذلك فيشرب الآخر وهلم جراً فينال كل واحد مثل نصيب صاحبه ، يستعملون ذلك في الأسفار عند قلة الماء .

وربما هدد الروساء والأغنياء بالهجاء إذا لم يبذلوا له مايريد، قال المبرد (الكامل ج ١ ص ٢١٣) وعد خالد بن صفوان الفرزدق شيئاً فأخره عنه ، فمر به الفرزدق فهدده ، فأمسك عنه حتى جاز الفرزدق ، ثم أقبل على أصحابه فقال : إن هذا قد جعل إحدى يديه سطحاً وملأ الأخرى سلحاً وقال إن عمرتم سطحي وإلا نضحتكم بسلحي . وكان لا يرى غضاضة في الأخذ ممن هو مثله أو دونه ، زار مرة وهو في الحجاز كثير عزة فأعطاه عشرين ديناراً ، قال الفرزدق : هممت أن لا أقبل منه فدعتني نفسي وهي طمعة إلى أخذها منه فأخذتها . ودخل يوماً المربد فلقي رجلاً من موالي باهلة ومعه نحي من سمن يبيعه فسامه إياه فقال له ادفعه إليك وتهب لي اعراض قومي فرضي .

ولاتحسب أن هذا التناقض في أخلاق الفرزدق يقف عند هذا الحد بل هناك مجموعة من المتناقضات ، فكما أنه جواد وسؤول ، فهو أيضاً جاف خشن وإلى جفائه دعابة ونكتة وجواب حاضر ، دخل مرة على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة فضحكوا ، فقال يا أبا فراس ! أتدري مما ضحكوا ؟ قال لا ، قال من جفائك . وليس أدل على قساوة طبعه وخشونته من كره ازواجه له ونشوزهن منه ،

فقد تزوج النوار بحيلة فلجأت إلى ابن الزبير بالحجاز ليفرق بينهما ، فما زال الفرزدق يستعطفها حتى عادت معه على كره وعاشت معه عيشة نكد إلى أن طلقها بعد أن بذلت في سبيل ذلك كل وسيلة ، وهو نفسه يخبرنا كيف كانت تضيق به ذرعاً فتنتف لحيته قال:

قامت نوار إلي تنتف لحيتي تنتاف جعدة لحية الخشخاش
كلتاهما اسد إذا ما أغضبت وإذا رضين فهن خير معاش

وزوجته رهيمة النمرية وظبية ابنة حالم نشزتا فطلقهما ، ولعل جفاء طبعه أحرج بنه ابطة فجعله عاقاً .

ولكنه إلى جنب ذلك يميل إلى الدعابة في كثير من الأحيان وله فيه أشياء مستملحة . كان لرجل من بني تميم على شرطة البصرة امرأة جميلة ، فراصده الفرزدق يوماً حتى مر إلى مجلسه ، ثم لم يزل يحوم حول داره حتى لقي امرأته ومعها جارية لها ، وكان عليه ثوب وشي ، فقالت الجارية لمولاتها ألا ترين هذا البرد على هذا الاعرابي ما أحسنه ، فقال لها الفرزدق : هل لك أن أقبِّل مولاتك قبلة وأعطيك هذا البرد ؟ فقالت الجارية لمولاتها : وما عليك من هذا الاعرابي الاحمق ، فلما تابعته على ذلك قبلها ودفع البرد إلى الجارية وقال لها : أسقيني ماء ، فأتته بماء في قدح زجاج ، فلما وضعته في يده القاه

فانكسر ، ثم قعد قريباً من باب الدار فلما أتى الرجل أبصره ببابه، فقال ما يقعدك ههنا يا أبا فراس ألك حاجة ؟ قال لا ولكني استسقيت أهل البيت فأتوني بقدح فانكسر فأخذوا بردي رهنا . فدخل الرجل فشتم أهله ثم قال ردوا على الفرزدق برده .

ومر الفرزدق يوماً بمجلس بني حرام فقال له عنبسة مولى عثمان بن عفان يا أبا فراس متى تذهب إلى الآخرة ؟ قال وما حاجتك إلى ذاك يا أخي ؟ قال أكتب معك إلى أبي ، قال أنا أذهب إلى حيث أبوك في النار ؟ اكتب إليه مع ريالويه واصطفانوس . وهجا مرة راويته عمرو بن عفراء الضبي فغضب وأتاه في نادي قومه وكان مما قال له : والله لا تنهاني عن شيء إلا أتيته ، فقال الفرزدق فاشهدوا أني أنهاه أن ينال أمه . وذكر صاحب الأغاني أن هاشم بن القاسم العنزي قال: جمعني والفرزدق مجلس فتجاهلت عليه ، فقلت من أنت ؟ قال أما تعرفني ؟ قلت لا ، قال فأنا أبو فراس ، قلت ومن ابو فراس؟ قال أنا الفرزدق ، قلت ومن الفرزدق؟ قال أوما تعرف الفرزدق؟ قلت أعرف الفرزدق أنه شيء يتخذه النساء عندنا يتسمن به، فضحك وقال الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم . ولما وصف له النفط في مرضه الذي

مات به قال لابنه : يا بني عجلت لأبيك شراب أهل النار .

وكان الفرزدق فاسقاً ماجناً خليعاً يشرب الخمر – ان وجد إليها سبيلا – ويأتي المنكرات ولا يزعه عن الفواحش حياء أو دين أو شيب ، ويجاهر بالمعاصي ، قال في شرب الخمر :

واجانة ريا الشروب كأنها إذا اغتمست فيها الزجاجة كوكبُ
مختمة من عهد كسرى بن هرمز بكرنا عليها والفراريج تنعب
سبقت بها يوم القيامة إذ دنا وما للصبي بعد القيامة مطلب

وقال يجاهر بالمعاصي :

أما الزناء فاني لست تاركه والمال بيني وبين المرء نصفانِ

وطالما هجاه جرير بشرب الخمر والفجور ؛ وأخبار مجونه وخلاعته مدونة في كتب الأدب . ولكنه مع ذلك كان حسن الايمان بالله يقيم الصلوات ، ويعجبه من قومه أن يتدارسوا القرآن ويكثروا من تلاوته ، يقرّ بذنوبه ويستغفر الله لها ويخشى عذاب الآخرة ، ويهجو ابليس الذي يزين له المعاصي ويطغيه . قال المبرد في الكامل (ج ١ ص ٥٧) التقى الحسن البصري والفرزدق في جنازة ، فقال الفرزدق للحسن أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ قال وما يقولون ؟ قال يقولون اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس ،

فقال الحسن كلا لستُ بخيرهم ولستَ بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة وخمس نجائب لا يُدركن يعني الصلوات الخمس . وقال : كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بني تميم والمصاحف في حجورهم فيسر بذلك ويجذل به ويقول إيهٍ فدىً لكم أبي وأمي كذا والله كان آباؤكم . وقال : والفرزدق يقول في آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله أن لا يكذب ولا يشتم مسلماً :

ألم ترني عاهدت ربي وانني … لبين رتاج قائماً ومقامِ
على حلفة لا أشتم الدهر مسلماً … ولا خارجاً من فيّ زور كلام

وفي هذا الشعر :

أطعتك يا إبليس تسعين حجة … فلما انقضى عمري وتم تمامي
رجعت إلى ربي وأيقنت أنني … ملاقٍ لأيام المنون حمامي

وقال صاحب الأغاني قال الرقاشي : خرجت في ليلة باردة فدخلت المسجد فسمعت نشيجاً وبكاءً كثيراً فلم أعلم من صاحب ذلك إلى أن أسفر الصبح ، فإذا الفرزدق ، فقلت يا أبا فراس تركتَ النوار وهي لينة الدثار دفئة الشعار ، قال إني والله ذكرت ذنوبي فأقلقتني ففزعت إلى الله عز وجل .

وكان على تبجحه بتفليق الجماجم وحز الغلاصم من أجبن خلق الله ، إذا قيل له أجب الأمير أخذته القشعريرة وصار أودع من حمامة ، قال لما طلبه زياد بن أبيه :

إذا ذكرت نفسي زياداً تكمشت   من الخوف أحشائي وشابت مفارقي

وقال :

أتاني وعيد من زياد فلم أنم   وسيل اللوى دوني وهضب التهائم
فبت كأني مشعر خيبرية   سرت في عظامي أو دماء الأراقم
فدعني أكن ما كنت حيا حمامة   من القاطنات البيت غير الروائم

قال القالي في ذيل الأمالي (ص ٧٦) : (لما كان يوم من أيام دير الجماجم حمل حاجب بن خشينة العبشمي في الخيل على أهل العراق مع الحجاج فأزال صفوفهم . فقال الحجاج للفرزدق وهو عنده ألا ترى ما أكرم حملة ابن عمك ؟ فقال أيها الأمير إنه رجل جواد وقد سفر ماله (أي مزقه) فحمل حملة مفلس . فقال له الحجاج : فهل لك أن تحمل كما حمل وألحق عطاءك بعطائه ؟ فقال إني أخاف إذا حملت أن ينقطع أصل العطاء .

وكان لصان في طريق البصرة يسميان (الشبثين) ؟ يقطعان

الطريق ويسلبان الناس فقال الفرزدق يتمنى لقاءهما ليريح الناس من شرهما :

يا ليتني (والشبثين)؟ نلتقي   ببلد ليس به من نتقي
ثم يحاط حولنا بخندق   ثم يقال يافرزدق اصدق

فبلغهما تمنيه لقاءهما فلقياه وتمت الرواية بأن عبثا به وأخذا منه شيئاً ثم رداه إليه .

وربما تنادر عليه الناس بالتخويف والتهويل قال صاحب الأغاني : بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد في سكة ليس لها منفذ ، إذ مر به رجلان من قومه كانا في الشرطة وهما راكبان ، فقال أحدهما لصاحبه هل لك أن أفزعه ؟ وكان جباناً ، فحركا دابتيهما نحوه فأدبر مولياً ، فعثر في طرف برده فشقه ، وانقطع شسع نعله ، وانصرفا عنه وعرف أنهما هزءا منه فقال :

لقد خار إذ يجري علي حماره   ضرار الخنا والعنبري ابن أخوقا
وما كنت لو خوفتماني كلاكما   باميكما عن بانتين لأفرقا
ولكنما خوفتماني بخادر   شتيم إذا ما صادف القرن مزقا[1]

ودخل الفرزدق مرة مع فتيان من آل المهلب في بركة

---

(١) يرجع إلى هذه القصة في ديوان الفرزدق طبعة بوشر ص ٤٩

يتبردون فيها ومعهم ماجن يقال له ابن أبي علقمة ، فجعل يتفلت إلى الفرزدق ويقول دعوني ... حتى لا يهجونا أبداً ، فجعل الفرزدق يستغيث ويقول ويلكم لا يمس جلده جلدي .

ومما يدل على جبنه ارتعاش يده لما ضرب عنق الأسير ، وجعل المستشرق الألماني الاستاذ شادي في الفصل الذي كتبه على الفرزدق في دائرة المعارف الإسلامية هذه الحادثة دليلاً على قساوته ايضاً ، وخبر ذلك كما رواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء : أن سليمان بن عبد الملك أمر الفرزدق أن يضرب عنق أسير رومي ، فنبا السيف عنه في يده فضحك الناس فقال :

أيعجب الناس ان أضحكت خيرهم ... خليفةَ الله يستسقى به المطرُ

لم ينب سيفي من رعب ولا دهش ... عن الأسير ولكن اخر القدر

ولن يقدم نفساً قبل مدتها ... جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

ثم قال :

ما ان يعاب سيد إذا صبا ... ولا يعاب صارم إذا نبا

ولا يعاب شاعر إذا كبا

وقال جرير في ذلك :

بسيف أبي رغوان قين مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

فقال الفرزدق :

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الاعناق حمل المغارم

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

أما هواه السياسي فشعره يدل على أنه مع بني أمية، ولكن الواقع أنه مع القوي الغالب من قريش أياً كان، تراه في أيام معاوية ويزيد يخص بالحرمة من الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان، وبنوه بذكر بني أمية كما ورد في قصيدته التي مدح بها سعيد بن العاص، فلما مات يزيد واختلت أحوال بني أمية وخلع أهل البصرة عاملها عبيد الله بن زياد واختاروا عبد الله بن الحرث والياً عليهم وكتبوا لابن الزبير بالبيعة له، كان الفرزدق من جملة المبايعين، ثم لما بعث عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله بن أسيد إلى البصرة ليأخذ البيعة له ولحق به جماعة من تميم وخلعوا ابن الزبير قال الفرزدق يلومهم :

عجبت لأقوام تميم ابوهم وهم في بني سعد عظام المبارك

وكانوا رؤس الناس قبل مسيرهم مع الأزد مصفر ألحاها ومائك

ونحن نفينا مالكاً عن بلادنا ونحن فقأنا عينه بالنيازك

أبا حاضران تلقه الخيل تلقه على لاحق ابزيمه بالسنابك

فماظنكم بابن الحواري مصعب إذا افتر عن أنيابه غير ضاحك

ولكنه لما تم الأمر لعبد الملك أصبح خليفة الله، وصار ابن الزبير كذاب مكة قال :

فالأرض لله ولاها خليفته وصاحب الله فيها غير مغلوبِ

بعد الفساد الذي قد كان قام به كذاب مكة من مكر وتخريب

وصار بعد ذلك ينكر على كل من عصى بني أمية ويرضى عمن أطاعهم ، فقد هجا عبد الرحمن بن الأشعث وأنكر عليه عصيانه على بني أمية بقصيدة أولها :

لبئستْ هدايا القافلين أتيتم بها أهلكم ياشر جيشين عنصرا

وقال في السميدع الزهراني وكان يدعو ليزيد بن المهلب في عصيانه على بني أمية فكره رجال من بني تميم الفتنة ولحقوا بالشام :

فدى لرؤس من تميم تتابعوا إلى الشام لم يرضوا بحكم السميدع

أحكم حروري من الدين مارق أضل وأغوى من حمار مجدع

وقال في فتنة يزيد بن المهلب :

لقد كذبَ الحي اليمانون شقوةً بقحطانها أحرارُها وعبيدُها

يرومون حقاً بالخلافة واضحا شديداً أواسيها طويلاً عمودها

فان تصبروا فينا تقروا بحكمنا　　　وإن عدتم فيها فسوف نعيدها

ولما ولى عبد الملك أخاه بشراً العراق اختص به الفرزدق ولما مات بشر رثاه وذهب إلى قبره وعقر عليه فرسه، وصار منذ ذاك الحين عثمانياً أموياً يفتخر بأخواله بني ضبة وبلائهم مع السيدة عائشة يوم الجمل :

وأنا ابن حنظلة الأغر وإنني　　　في آل ضبة للمعمّ المُخوَلُ

وعشية الجمل المجلل ضاربوا　　　ضرباً شؤون فراشه تنزيلّ

ويمدح بني أمية بانتصارهم يوم صفين ويتقرب إليهم بأنه جار مروان :

أبى الله إلا نصركم بجنوده　　　وليس بمغلوب من اللهُ صاحبهْ

وكائن إليكم قاد من رأس فتنة　　　جنودا وأمثالُ الجبال كتائبه

فمنهن أيام بصفين قد مضت　　　وبالمرج والضحاك تُجري مقانبه

سما لهما مروان حتى أراهما　　　حياض منايا الموت حمراً مشاربه

فما قام بعد الدار قوّاد فتنة　　　ليشعلها إلا ومروان ضاربه

أبى الله إلا أنّ ملككم الذي　　　به ثبت الدين الشديد نصائبه

وهو في أماديحه لخلفائهم يغلو فيهم أكثر من جميع شعرائهم، فيجعل الخلافة حقهم الذي لا يختلف فيه اثنان، لأنهم ورثوا عثمان الذي أفضت إليه الخلافة بحكم الشورى، ويزعم أنهم

يضربون بسيف النبي ، وأن أعداءهم كأعداء النبي يوم بدر ، وأنهم الأئمة الهادون المهديون ، ولا سيما سليمان بن عبدالملك فلقد كان يلقبه بالمهدي دائماً ، وأن الوحي يكاد ينزل عليهم كما سيأتي ذلك مفصلاً عند الكلام على مدحه . وكان يكيل المدح لعمالهم جزافاً ، فقد مدح الحجاج كثيراً وزعم أن الله كان يمده بملائكة من عنده ، قال في فتنة عبد الرحمن بن الأشعث :

دعوا ودعا الحجاج والخيل بينها مدى النيل في سامي العجاجة أكدرا
إلى باعث الموتى لينزل نصره فأنزل للحجاج نصراً مؤزرا
ملائكةً من يجعل اللهُ نصرَهم له يك أعلى في القتال وأصبرا
رأوا جبرئيل فيهم إذ لقوهم وأمثاله من ذي جناحين أظهرا
فلما رأى أهل النفاق سلاحهم وسيماهم كانوا نعاماً منفرا

ورثى أخاه وابنه ، فلما مات الحجاج رثاه ، ثم لما بويع لسليمان ابن عبدالملك وهو يكره الحجاج مدح سليمان وهجا الحجاج . قال ابن عيّاش لقيت الفرزدق فقلت له يا أبا فراس أنت الذي تقول ؟

فليت الأكف الدافنات ابن يوسف يقطعن إذ غيبن تحت السقائفِ

فقال نعم أنا ، فقلت له ثم قلت بعد ذلك له ؟

لئن نفرُ الحجاج آلُ معتِّب لقوا دولة كان العدو يُدالها

لقد أصبح الأحياء منهم أذلة وفي النار مثواهم كلوحاً مبالما

فقال نعم نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه فإذا تخلى منه انقلبنا عليه .

وقد زعم بعض من ترجم للفرزدق أنه كان يرى رأي الشيعة في بني أمية ؛ وجميع ما قاله في بني أمية والخلافة حجة على تلك الدعوى لا لها ، فما أدري بماذا يستدلون ولا كيف يفهمون ويحكمون . ورد في النقائض ص ٣٦٦ أن سليمان بن عبد الملك حج بالناس فبلغه وهو بمكة أن بني تميم خلعوا طاعته ، فخطب الناس بعرفات وذكر غدر بني تميم ووثوبهم على سلطانهم وإسراعهم إلى الفتن وقال إنهم أصحاب فتن وأهل غدر وقلة شكر، فقام الفرزدق وفتح رداءه فقال : يا أمير المؤمنين هذا ردائي رهن لك بوفاء تميم، والذي بلغك كذب ، ثم جاءت بيعتهم لسليمان وفي ذلك يقول الفرزدق :

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة لآل تميم أقعدت كل قائم

كأن رؤوس الناس إذ سمعوا بها مدمغة من هازمات أمائم

فدى لسيوف من تميم وفى بها ردائي وجلت عن وجوه الأهاتم

أما كونه يحب آل البيت ويجلهم فهذا ما يشترك به جميع

المسلمين . على أنه لم يذكر في كل شعره أحداً من آل البيت إلا زين العابدين في ستة أبيات هي :

إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفانَ راحته	ركنُ الحطيم عليه حين يستلم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
من يشكرِ اللهَ يشكرْ أوليّة ذا	فالدينُ من بيت هذا ناله الأمم
أيُّ القبائل ليست في رقابهم	لأوليّة هـذا أوله نعم

مدحه بها بالشرف والمكارم والدين والتقوى التي يقر لزين العابدين بها خلفاء بني أمية أنفسهم . ثم زاد الناس على هذه الأبيات قصيدة للحزين الكناني يمدح بها عبد الله بن عبد الملك . قال صاحب الأغاني ج١٤ ص٧٥ «والناس يروون هذين البيتين :

في كفه خيزران ريحها عبق	من كف أروع في عرنينه شممُ
يغضي حياءً ويغضى من مهابته	فلا يكلم إلا حين يبتسم

للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين ، وهو غلط ممن رواه فيها وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد» . ثم نسبها

مع أبيات أخر للحزين الكناني وقال : « والصحيح أنها للحزين في عبد الله بن عبد الملك وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة تنبئ عن نفسها » .

وذكر صاحب الأغاني خبراً للفرزدق يتعلق بآل البيت فقال : (لقي الفرزدق الحسين بن علي عليهما السلام متوجهاً إلى الكوفة خارجاً من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة ، فقال له الحسين صلوات الله عليه وآله : ماوراءك؟ قال يا ابن رسول الله أنفس الناس معك وأيديهم عليك ، قال ويحك معي وقر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدونني الله . فلما قتل الحسين صلوات الله عليه قال الفرزدق : فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها وتبقى هيبتها ، وإن صبرت عليه ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذلاً إلى آخر الدهر وأنشد في ذلك :

فإن أنتم لم تثأروا لابن خيركم فالقوا السلاح واغزلوا بالمغازلِ

وذكر الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٢١٨ أن الفرزدق لقي الحسين بمكة ونقل الحديث الذي دار بينهما بمثل ما رواه صاحب الأغاني وزاد عليه : أن الفرزدق لقي بعد ذلك عبد الله بن عمرو ابن العاص قال الفرزدق : (ثم مضيت فإذا بفسطاط مضروب

في الحرم وهيئته حسنة ، فأتيته فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص ، فسألني فأخبرته بلقاء الحسين بن علي ، فقال لي ويلك فهلا اتبعته ؟ فوالله ليملكن ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه ، فهممت والله أن ألحق به ووقع في قلبي مقالته ، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصدني ذلك عن اللحاق بهم) هذا ما روي عن عن الفرزدق ولكن شعره خلا حتى من الإشارة إلى هذه الحادثة :

ولعل أدنى الآراء إلى الصواب أن نقول إن الفرزدق يقول بالعصبية العربية ، وبالمضرية منها على القحطانيه ، ويرى أن قريشاً أشرف العرب وأجدرها بالحكم ، وأشرف قريش هاشم وعبد شمس . قال يهجو المهلب بن أبي صفرة ويدعي أنه نبطي ، وفي قوله حمية جاهلية وعصبية للعرب في جاهليتها وإسلامها .

فكيف ولم يأتوا بمكة منسكاً ولم يعبدوا الأوثان عند المحصَّبِ

وقال يهجو المهلب أيضاً :

وكيف ولم يفقد فرسا أبوكم ولم يحمل بنيه إلى « الدوارِ »
ولم يعبد « يغوث » ولم يشاهد لحمير ماتدين ولا نزار
وما لله تسجد ازد بصرى ولكن يسجدون لكل نار

« والدوار ويغوث من أصنام العرب في الجاهلية » ومثله قوله في بني

حنيفة الذين قاتلهم خالد بن الوليد وهم مع مسلمة :

ولو بأَباضَ إذ لاقوا جلاداً ... بأيدي مثلهم وسيوف كفرِ

لذادوا عن حريمهم بضرب ... كأفواه الأوارك أيّ هبْر

ولكن جالدوا مَلَكا كراماً ... هم فضوا القبائل يوم بدر

يقول لو قاتلوا مثلهم لغلبوهم ولكن قاتلوا الدين والملائكة .

وقال في تفضيل قريش :

ماحملت ناقة من معشر رجلاً ... مثلي اذا الريح لفتني على الكورِ

أعز قوماً وأوفى عند مكرمة ... معظم من دماء القوم مهجور

الا قريشاً فإن الله فضّلها ... على البرية بالاسلام والخير

قال لبطة : بينا أنا والفرزدق في المسجد الحرام إذ أقبل رجل من قريش جميل، فلما رآه أعجبه فأقبل عليّ وقال:

إن قريشاً خيار الناس خيرُهم ... وشرهم سيد الأشرار في النارِ

وقال في خالد القسري وهو يمني :

سلوا خالداً لا أكرم الله خالداً ... متى وليت قسر قريشاً تدينها

أقبل رسول الله أم بعد عهده ... فتلك قريش قد أغث سمينها

وقال في تقديم هاشم وعبد شمس من قريش :

ولو سئلت من كفؤها الشمس أومأت ... إلى ابني مناف عبد شمس وهاشمِ

شعره

أجمع الرواة والنقدة وأهل البصر بالشعر على أن الفرزدق شاعر العرب في العصر الأموي ؛ وذلك لأنه يمثل حياة ذلك العصر أكثر من كل شاعر إسلامي . فالعصر الأموي عصر إسلامي عربي خالص ، تغلب عليه سذاجة البداوة في الأدب والسياسة والاجتماع . ولا تجد شعراً أكثر تأثراً بالاسلام والعصبية العربية ، ولا أصح لغةً وأجزل أسلوباً ، ولا أجمع لشوارد العربية وفصحها وأخبار العرب وأيامهم من شعر الفرزدق .

أما تأثره بالإسلام أكثر من جميع الشعراء فلأنه كان يحفظ القرآن فأثر في نفسه أثراً بليغاً كان من أهم مصادر شعره ، أضف إلى ذلك صحبته للحسن البصري العالم التقي الواعظ ، حتى كثرت في شعره الألفاظ الإسلامية كالفرقان والدين والرسول والنبي والإسلام والإيمان والكفر والجنة والنار والملائكة والجن والصلاة والصيام والتقوى والتوكل والقضاء والقدر والأجل والبعث والحساب ، كما كثرت الإشارة إلى القصص القرآني والاستمداد منه والاستشهاد به ، كقصة آدم

وحواء وإبليس، ونوح وإبراهيم وإسحق وصالح والناقة ويوسف وفرعون وعاد وثمود وداود وسليمان ويونس والسامري ويأجوج ومأجوج والفيل، أضف إلى ذلك نظم بعض معاني القرآن، وذكر الآخرة وعذابها والخشية من الحساب، مع التأثر بالتعابير القرآنية، وما إلى ذلك من آثار الطابع القرآني الذي يظهر على شعره واضحاً جلياً، والشواهد على ذلك كثيرة نورد بعضها :

قال من قصيدة يهجو بها إبليس :

ألم تأت أهل الحجر والحجر أهله ... بأنعم عيش في بيوت رخام

فقلت اعقروا هذي اللقوح فإنها ... لكم أو تنيخوها لقوح غرام

فلما أناخوها تبرأت منهم ... وكنت نكوصاً عند كل ذمام

وآدم قد أخرجته وهو ساكن ... وزوجته من خير دار مقام

وأقسمت يا إبليس انك ناصح ... له ولها أقسام غير اثام

فظلا يخيطان الوراق عليهما ... بأيديهما من أكل شر طعام

والقصيدة كلها متأثرة بالقرآن والروح الاسلامية إلى حد بعيد . وقال :

حلفت بمن أتى كنفي حراء ... ومن وافى بحجته إلالا

ومن سمك السماء له فقامت ... وسخر لابن داود الشمالا

ومن نجى من الغمرات نوحاً ... وأرسى في مواضعها الجبالا

وقال :

أرجو الدعاء من الذي تلّ ابنه ... لجبينه ففداه ذو الإنعام
اسحق حيث يقول لما هابه ... لأبيه حيث رأى من الاحلام
امض وصدّق ما أمرتَ فإنني ... بالصبر محتسباً لخيرُ غلام

وقال ليزيد بن عبد الملك :

كن مثل يوسف لما كاد اخوتُه ... سلّ الضغائن حتى ماتت الحقدُ

وقال من قصيدة يهجو جريراً :

ولقد ضللت أباك تطلب دارماً ... كضلال ملتمس طريق وبارِ
كالسامري يقول إن حركته ... دعني فليس عليّ غير إزاري

وقال يذكر تحويل الوليد بن عبد الملك بيعة دمشق عن المسجد :

فُهِّمتَ تحويلها عنهم كما فهما ... إذ يحكمان لهم في الحرث والغنمِ
داود والملك المهدي إذ حكما ... اولادها واجتزاز الصوف بالجلم
فهمك الله تحويلاً لبيعتهم ... عن مسجد فيه يتلى طيب الكلم

وقال في فرار عمر بن هبيرة من سجن خالد بن عبد الله القسري :

ولما رأيت الأرض قد سُدّ ظهرها ... ولم تر إلا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعدما ... ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا

وقال في هجاء آل المهلب :

فصاروا كمن قد كان خالف قبلهم ... ومن قبلهم عاد عصت وثمودها

وقال :

فلو أن ذراً أو أباه رأى التي ... رأيتُ أبت عيناه أن تتأخرا
إذاً لرأى مثل الذي ظل رانياً ... إلى فرعها داود حتى تحدرا
إليها من المحراب وهو على الذي ... يُفصّلُ فيه كلُّ شيءٌ مسطرا

ومنها يقول مادحاً يزيد بن عبد الملك :

به دمّر الله المزون ومن سعى ... إليهم كما كان الفراعينَ دمّرا
بقيت الذي أعيا سليمانَ وابنه ... وداود والجن الذي كان سخرا
فأصبح جسراً خالداً ويد كه ... إذا دك عن يأجوج ردماً فنشّرا
بقوته الله الذي هو باعث ... عباداً له من خلقه حين نشّرا
عصائب كانت في القبور فبُعثرتْ ... وعاد تراباً خلقه حين قدّرا

وقال يمدح سليمان بن عبد الملك :

حملت الذي لم تحمل الارض والتي ... عليها فأديتَ الذي أنت حاملهْ
إلى الله من حمل الأمانة بعدما ... اضيعت وغال الدينَ عنا غوائله

وقال من قصيدة يمدح بها الحجاج :

وقائلة لي ما فعلت إذا التقت ... وراءك أبواب المنايا القواتلِ

فقلت لها ما باحتيال و لا يد خرجت من الغمى ولا بالحبائلِ
ولكن ربي رب يونس إذ دعا من الحوت في موج من البحر سائل
دعا ربه والله أرحم من دعا وأدناه من داع دعا متضائل

وقال من قصيدة يمدح سليمان بن عبد الملك ويهجو الحجاج :

جُعلتَ لاهل الارض عدلا ورحمة وبرءاً لآثار الجروح الكوالمِ
كما بعثَ الله النبي محمدا على فترة والناس مثل البهائم
فلما عتا الحجاج حين طغى به غنىً قال إني مرتقٍ في السلالم
فكان كما قال ابن نوح سأرتقي إلى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنوداً تسوق الفيل حتى أعادهم هباء وكانوا مطرخمي الطراخم
نُصرتَ كنصر البيت إذ ساق فيله إليه عظيمُ المشركين الأعاجم

وقل :

عجبت من الآمال والموت دونها وماذا يرى المبعوث حين يقومُ

وقال :

ولو وطئت سعد ليأجوج ردمها بأقدامها لا رفضّ عنها ردومها

وقال :

أبونا خليل الله وابن خليله أبونا أبو المستخلفين الأكارم

وقال :

على عهد ابن مريم كان قومي   هم الفرع المقدم والسناما

وقال :

فلا أم إلا أم عيسى علمتُها   كأمك خيراً أُمهاتٍ وأمجدا

وقال :

ورثنا عن خليل الله بيتاً   يطيب للصلاة وللطهورِ
هو البيت الذي من كل وجه   إليه وجوه أصحاب القبور

وقال يرثي الجراح الحكمي :

لقد صبر الجراح حتى مشت به   إلى رحمة الله السيوف الصوارمُ
فأصبح في القوم الذين محمد   أخوهم ومن يلحق بهم فهو سالم
جزوا بالسريرات التي في قلوبهم   جزاهم بها محصي السرائر عالم
إلى الغرفة العُليا رفيق محمد   مقيماً ولا منها هو الدهرَ رائم

وقال :

ولو ضافه الدجال يلتمس القرى   وحل على خبازه بالعساكرِ
بعدة يأجوج ومأجوج جوَّعا   لأَشبعهم شهراً غَداء العذافر

وقال من قصيدة يمدح يزيد بن عبد الملك ويزعم أن أمه حملت به ليلة القدر :

تلقت به في ليلة كان فضلها   على الليل ألفاً من شهور مقدّرا

وقال :

فأصبحوا الاترى إلا مساكنهم   كأنهم من ثمود الحِجر أو إرمِ

وقال في معنى الحديث (أُريتُ جدَّ بني تميم جملاً أحمر فأولتهُ أنهم لا تضرهم عداوة من عاداهم)

إن تميماً كل جد لجَدها   يذل لفراس الجدود كلا كله

وقال :

لنا مسجدا الله الحرام والهدى   واصبحت الاسماء منا كبيرها

سوى الله إن الله لاشيءٌ مثله   له الامم الأُولى يقوم نشورها

رمى الناس عن قوس تميماً فما أرى   معاداة من عادى تميماً تضيرها

ولو أن أم الناس حواء حاربت   تميمَ بن مر لم تجد من يجيرها

ونُبئتُ أشقى جعفر هاج شقوة   عليها كما أشقى ثمود مبيرها

وقال وهو محبوس :

وإذا حملت إلى الصلاة كأنني   عبءٌ يميل بعدله المعدولِ

إني حلفت بصارع لابن له   اسحق فوق جبينه المتلول

ولقد حلفتُ بمقبلين إلى مِنى   جاؤا عصائب فوق كل سبيل

وقال :

رجال على الاسلام إذ ما تجالدوا ... على الدين حتى شاع كلّ مكانِ
وحتى دعا في سور كل مدينة ... منادٍ ينادي فوقها بأذان
فيجزى وكيع بالجماعة إذ دعا ... إليها بسيف صارم وسنان
جزاء بأعمال الرجال كما جزى ... ببدر وباليرموك فيء جنان

وقال يهجو جريراً :

فانك من هجاء بنى نمير ... كأهل النار إذ وجدوا العذابا
رجوْا من حرها أن يستريحوا ... وقد كان الصديد لهم شرابا

وقال :

دعوت الذي سوّى السموات ايدُه ... ولله أدنى من وريدي وألطفُ
وبيتان بيت الله نحن ولاته ... وبيت بأعلى إيلياء مشرف

ومنها :

عَلى مَن وراء الردم لو دُكَّ عنهم ... لماجوا كما ماج الجراد وطوّفوا

وقال :

حلفت برب مكة والمصلى ... وأعناقِ الهديّ مقلَّداتِ
لقد قلدت جلف بني كليب ... قلائد في السوالفِ باقيات
قلائد ليس من ذهب ولكن ... مواسم من جهنم منضجات

وقال :

قال الملائكة الذين تخيروا   والمصطفون لدينه الأخيارُ

وقال :

عرف القبائل أننا أربابها   وأحقها بمناسك التكبيرِ

جعل الخلافة والنبوة ربنا   فينا وحرمة بيته المعمور

منا النبي محمدٌ يُجلى به   عنا العمى بمصدَّق مأمور

وقال :

أنا ابن خندف والحامي حقيقتها   قد جعلوا في يميني الشمس والقمرا

وهو مأخوذ من قول النبي عليه السلام لعمه أبي طالب :

(ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري عَلى أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ماتركته)

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٨٩

وجاء رجل إلى الحسن البصري والفرزدق جالس إلى جنبه فقال : يا أبا سعيد ! الرجل يقول لا والله ولم والله في كلامه ، قال لا يريد اليمين . فقال الفرزدق : أو ماسمعتَ ماقلتُ في ذلك ؟ قال الحسن ما كل ماقلتَ سمعوا فما قلتَ ؟ قال قلتُ :

ولستَ بمأخوذ بلغو تقوله   إذا لم تعمد عاقدات العزائمِ

فلم ينشب أن جاء رجل آخر فقال يا ابا سعيد ، نكون في هذه المغازي فنصيب المرأة لها زوج أفيحل غشيانها ولم يطلقها زوجها ؟ فقال الفرزدق: أوما سمعتَ ما قلتُ في ذلك ؟ قال الحسن ما كل ما قلت سمعوا ، فما قلت ؟ قال قلت :

وذات حليل انكحتنا رماحنا   حلال لمن يبني بها لم تطلقِ »

وقال :

لقدخاب من أولاد آدم من مشى   إلى النار مغلول القلادة أزرقا

أخاف وراء القبر ان لم يعافني   أشد من القبر التهاباً وأضيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائد   عنيف وسواق يقود الفرزدقا

***

وأما تمثيله العربية في فصاحتها وشواردها ، وتاريخ العرب في مناقبهم ومثالبهم ، حتى قيل : « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب » وقيل : « لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس » وقال أبو عمرو بن العلاء: « لم أر بدوياً أقام في الحضر إلا فسد لسانه غير الفرزدق وروءبة » فذلك لكثرة مفرداته ، وصحة تراكيبه ، وجزالة أسلوبه ، واشتمال شعره على الغريب ، ووجه التعابير

الفصيحة، ووفرة ما تضمنه فخره وهجاؤه ومدحه من أخبار العرب وأيامها ومفاخرها، ومثالب من يهجوهم في الجاهلية والإسلام . خذ مثلاً لذلك نقيضة من نقائضه مع جرير تجد فيها صحة اللغة وفصاحة الأسلوب وجزالة التركيب ورصانة القافية وعراقة العربية مع شيء من الغريب، كما تجد كثيراً من أخبار العرب في الجاهلية والإسلام، فلو جمع باحث مفردات الفرزدق التي استعملها في شعره لكادت تكون معجما، ولو توفر على ترتيب مافيه من الأخبار والحوادث والأيام والمفاخر والمخازي والعادات والاساطير والخرافات لجمع تاريخا لحوادث الجاهلية وحياتها الاجتماعية، والشواهد على ذلك أكثر من أن تذكر نكتفي بإيراد قليل منها قال : نقائض ص ١٨٩

وهمُ على ابن مزَيقياء تنازلوا ... والخيل بين عجاجتيها القسطلُ

وهم الذين على الأميل تداركوا ... نعماً يشلُّ إلى الرئيس ويعكل

ومحرِّقاً صفدوا إليه يمينه ... بصفاد مقتسرٍ أخوه مكبَّل

ملكان يوم بزاخةٍ قتلوهما ... وكلاهما تاج عليه مكلَّل

وهم الذين علوا عمارة ضربةً ... فوهاء فوق شؤونه لاتوصل

وهم إذا اقتسم الأكابر ردهم ... وافٍ لضبة والركاب تشلَّل

جار إذا غدر اللئام وفى به   حسب ودعوة ماجد لا يخذل
وعشية الجمل المجلل ضاربوا   ضرباً شؤون فراشه تتزيل

هذه الأبيات الثمانية فيها من الأخبار والحوادث والأيام ما استغرق عشر صفحات كبيرة من كتاب النقائض ، ولا سبيل لتلخيصها هنا ولكن لا بأس بالإشاره إليها ، فابن مزيقياء قتله عامر من بني ضبة ، ويوم الأميل كان لبني ضبة على بني شيبان ، ومحرِّق هو ابن الحرث بن مُزَيقياء ، والملكان هما محرِّق واخوه زياد قتلا يوم بُزاخة ولهذا اليوم حديث طويل ، وعمارة هو عمارة العبسي ولمقتله خبر طويل ، والاكابر شيبان وعامر وجليحة من بني تيم الله ، والجار يعني بدر بن حمراء الضبي أجار الأكابر في حديث طويل ، ويوم الجمل مشهور .

وقال يشبه وفاء سليمان بن عبد الملك لآل المهلب بوفاء السموأل لامرئ القيس ووفاء ابن ديهث للحارث بن ظالم :

وفاء أخي تيماء إذ هو مشرف   يناديه مغلولاً فتى غير جانبِ
أبوه الذي قال اقتلوه فإنني   سأمنع عرضي أن يسب به أبي
فانا وجدنا الغدر أعظم سبةً   وأفضح من قتل امرئٍ غير مذنب
فأدّى إلى آل امرئ القيس بزه   وأدراعه معروفةً لم تغيب

كما كان أوفى إذ ينادى ابن ديهث　　وصرمته كالمغنم المتنهبِ
فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم　　وكان إذا ما يسلل السيف يضرب

ومن التعابير العربية التي حفظها لنا شعره قوله : نقائض ص ٢٨٣

أو بين حيِّ أبي نعامة هارباً　　أو باللحاق بطيءِ الأجبالِ

« حيّ أبي نعامة » أي وهو حيّ تقول فعلت ذاك حيّ فلانٍ اي وفلانٌ حيٌّ . وإذا أردت أن تقف على الأسلوب العربي الصريح بجزالته وفخامته فاسمع قوله :

أحلَّ هُزَيمٌ يومَ بابل بالقنا　　نذورَ نساء من تميم فحُلَّتِ
فأصبحن لا يشرين نفساً بنفسه　　من الناس إن عنه المنيةُ زلَّتِ
يكون أمام الخيل أولَ طاعن　　ويضرب أخراها إذا هي ولَّتِ
عشيةَ لا يدري يزيد أينتحي　　على السيف ام يعطي يداً حين سلَّت
وأصبح كالشقراء تُنحر إن مضتْ　　وتُضرب ساقاها إذا ما تولَّت
لعمري لقد جلَّى هزيم بسيفه　　وجوهاً علتها غبرةٌ فتجلَّت
وقائلة كيف القتال ولو رأت　　هزيماً لدارت عينها واسمدرَّت
وما كرَّ إلا كان أولَ طاعن　　ولا عاينته الخيل إلا اشمأزت

وقوله :

ألم ترَ أنا نحن أفضل منكم　　قديماً كما خير الجناح قوادمه

وما زال باني العز منا وبيته وفي الناس باني بيت عز وهادمه
قديماً ورثناه على عهد تبع طوالاً سواريه شداداً دعائمه
وكم من أسير قد فككنا ومن دم حملنا إذا ما ضج بالثقل غارمه

ولا محل للاستزادة من إيراد الشواهد على الناحية العربية في شعره ·

وروح البادية شائعة في شعره، تشعر بها مقصودة بالذات وبالواسطة كقوله :

وإنا أهل بادية ولسنا بأهل دراهم حضروا القرارا

وأكثر صوره الشعرية من تشبيه وتمثيل واستعارة وكناية واستشهاد، منتزع من حياة البادية وما فيها من حيوان ونبات وموات ومظاهر للطبيعة ، فهناك الآل والسموم والأعلام الطامسة والآثار الدارسة والأطلال والدمن والمياه الأواجن والأخبية والأثافي والنؤي والسباع والذئاب والافاعي والضباب والإبل والشاء والظباء والنعام والقطا والشيح والقيصوم وحنين النيب وما إلى ذلك مما توحيه البادية ، وسنجد ذلك جلياً في كل باب من أبواب شعره، ولكن لا بأس بإيراد بيت واحد معرق في البداوة إذ أن طرفي التشبيه فيه منتزع من البادية وهو :

فترى الأثافي والرماد كأنه بوٌّ عليه روائم أظآرُ

* * *

والفرزدق على جفاء طبعه له مخيلة تفيض بالحياة وتحسن الابتكار والابتداع ووضع الأقاصيص بأسلوب حسن، روي عنه من ذلك حديثان طريفان يغلب على الظن أنهما من وضعه، الأول حديث يوم دارة جلجل وما صنع امرؤ القيس مع النساء اللواتي كن يتبردن في الماء، وهو خبر مشهور روي عن الفرزدق، ودلائل الوضع ظاهرة عليه وآثار الخيال الشعري فيه أوضح من أن ينبه إليها، ولو كانت المشاهد الخلابة التي ذكرها الفرزدق، وقعت لامرئ القيس لما فاته أن يصورها بشعره على ما عرف به من الحرص على وصف حوادثه الغرامية. والحديث الثاني يصور مأساة غرامية انتهت بموت عقيلة بنت الضحاك من أولاد النعمان بن المنذر حنيناً لابن عمها عمرو، وبموت عمرو حنيناً لها في الساعة التي ماتت فيها، والحديث مذكور في الأغاني ج ٧ ص ٥٢

والفرزدق على أميته واسع الرواية كثير المحفوظ من شعر العرب وأخبارها، قال أبوه غالب لعلي رضي الله عنه لما زاره ومعه الفرزدق: « هذا ابني وقد روّيته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً ».

وقال صاحب الأغاني : انشد الراعي الفرزدقَ أربع قصائد، فقال له الفرزدق: أُعيدها عليك ، لقد أتى عليَّ زمان لو سمعت بيت شعر وأنا أهوي في بئر ماذهب عني . وقال الجاحظ : كان الفرزدق راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم . وقال ابن قتيبة كان الفرزدق مِعناً مِفَنّاً .

ولم يقف الفرزدق عند حفظ أشعار العرب وأخبارهم بل حفظ القرآن وروى الحديث النبوي، قال صاحب خزانة الأدب : « روى الفرزدق عن علي عليه السلام أحاديث وعن غيره من الصحابة» وقال صاحب النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٨ «روى (الفرزدق) عن علي بن أبي طالب وغيره وكان يُرسِل ، وروى عن أبي هريرة وعن جماعة» . فثقافة الفرزدق كما رأيت أعلى ثقافة يبلغها شاعر في ذاك العصر .

ويجمع الفرزدق إلى خصوبة المخيلة وسعة الرواية كثرة النواحي ، فشعره سجل حياته ومرآة عصره . فحوادثه الخاصة مع أزواجه وأولاده ورواته وأصحابه وخدمه جليلها وحقيرها وما وقع له من اضطهاد أو حبس أو فرار ، وما يراه في سفره من ذئب أو أسد ، وأخبار لجوئه إلى القبائل أو الأفراد ، مسجلة

في شعره حتى لو فتح باباً في داره . قال وقد جعل لداره بابين :

جعلت لها بابين باب مجاشع وباباً لِجُيْمياً عزيزاً مراومهْ

وكذلك الحوادث الهامة كحوادث ابن الزبير وأخيه مصعب، وثورتي ابن الأشعث وابن المهلب ، وأخبار ولاة العراق وتغييرهم وما إليها ، حتى ليصعب على الإنسان أن يحصر أبواب شعره . كل ذلك مع حسن التصرف وسعة المضطرَب وصحة التعبير ، فهو أكثر الشعراء الإسلاميين نواحي . سئل ابن دأب عن الفرزدق وجرير فقال : «الفرزدق أشعر عامةً وجرير أشعر خاصة » وورد في النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٨ « كان يقال : الفرزدق أشعر الناس عامة وجرير أشعر الناس خاصة » .

ونفَس الفرزدق طويل، وقصائده التي تزيد أبياتها على المائة كثيرة ، وله القصائد القصار وهو في كلا القسمين قوي لا يسف ولا ينزل عن طبقته، وكان يفضل القصار لأنها أسهل حفظاً وأيسر رواية، وهو « مشهور بحسن القِطَع » العمدة ج ١ ص ١٢٤

***

والمفاضلة بينه وبين جرير شغلت الناس وقسمتهم حزبين، وكانت حديث المجالس وسمر السامرين ، بل حديث الجنود في

مصافهم وساعات راحتهم، وفي الأغاني: تنازع في جرير والفرزدق رجلان من عسكر المهلب فارتفعا إليه وسألاه، فقال لا أقول بينهما شيئاً، ثم دلهما على الخوارج. فلما تواقف الجيشان بدر أحد المتنازعين من الصف إلى عبيدة بن هلال اليشكري الخارجي فسأله عنهما ففضل جريراً.

وتعصب كل حزب لصاحبه حتى قيل: ما ذكر الفرزدق وجرير في مجلس واتفق أهله على واحد منهما. وحتى جعل بعضهم جائزة لمن يفضل الفرزدق من الشعراء. قال صاحب الأغاني: «بذل محمد بن عمر بن عطارد اربعة آلاف درهم وفرساً لمن فضل من الشعراء الفرزدق على جرير». والفرزدق عند العلماء واللغويين والخاصة أشعر، وجرير عند جمهرة الشعراء أشعر. على أن الشعراء الذين يؤثرون الجزالة وكثرة النواحي يفضلونه أيضاً كالحطيئة وناهيك بشهادته، وذلك أن الفرزدق لما هرب من زياد واستجار بسعيد بن العاص وأنشده قصيدته، كان عند سعيد الحطيئة وكعب بن جعيل، فقال الحطيئة: هذا والله الشعر لا ما تعلل به منذ اليوم أيها الأمير، فقال كعب بن جعيل: فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك، فقال بلى والله افضله على نفسي وعلى غيري، أدركتَ

من قبلك وسبقتَ من بعدك ، ثم قال له الحطيئة : ياغلام لئن بقيت لتبرزن علينا ، أأنجدتْ امك ؟ قال لا بل أبي . ونقل عن البحتري أنه كان يفضله ، قال المزرباني في الموشح : « قال أبو الغوث يحيى ابن البحتري كان أبي يقول : لا أرى أن أكلم من يفضل جريراً على الفرزدق ولا أعده من العلماء بالشعر ، فقيل له وكيف وكلامك أشد انتساباً إلى كلام جرير منه إلى كلام الفرزدق ؟ فقال كذا يقول من لا يعرف الشعر ، لعمري إن طبعي بطبع جرير أشبه ، ولكن من أين لجرير معاني الفرزدق وحسن اختراعه ، جرير يجيد النسيب ولا يتجاوز هجاء الفرزدق باربعة أشياء : بالقين وقتل الزبير وباخته جعثن وامرأته النوار ، والفرزدق يهجوه في كل قصيدة بأنواع هجاء يخترعها ويبدع فيها » .

***

والفرزدق على طول نفسه وسعة مضطربه وكثرة فنونه تختلف حالاته في قرض الشعر باختلاف بواعثه حتى ربما وجد مشقة في قرضه واحتال لرياضته . قال الجاحظ قال الفرزدق : « أنا عند الناس أشعر الناس وربما مرت علي ساعة ونزع ضرس

أهون عليّ من أن أقول بيتاً واحداً»[1]. وكان إذا لم يفتح عليه ركب ناقته وطاف وحده في شعـاب الجبال وبطون الأودية والأماكن الخالية. قال له مرةً وهو في المدينة رجل من الأنصار: بلغني أنك تقول إنك أشعر العرب، قال وتزعمه مضر، فقال الرجل: قد قال حسان بن ثابت شعراً فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك فيه سنة، فأن قلت مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنت كذاب منتحل ثم أنشده :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... واسيافنا يقطرن من نجدة دما

قال الفرزدق : فأتيت منزلي فأقبلت أصعّد واصوّب في كل فن من الشعر، فكأني مفحم لم أقل شعراً قط، حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدت بها حتى اتيت ذبابا (وهو جبل بالمدينة) ثم ناديت باعلى صوتي: أجيبوا أخاكم ابا لبيني،

---

(١) قال صاحب الأغاني ج ٢١ ص ٨٥ قال سلمة بن عياش دخلت على الفرزدق السجن وهو محبوس وقد قال قصيدته :

ان الذي قد سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطولُ

وقد أفحم وأجبل، فقلت له: الا أرفدك ؟ فقال وهل ذاك عندك ؟ فقلت نعم ثم قلت :

بيت زرارة محتبٍ بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشلُ

فاستجاد البيت وغاظه قولي وأدخله في قصيدته .

فجاش صدري كما يجيش المرجل، فعقلت ناقتي وتوسدت ذراعها فما قمت حتى قلت ماية وثلاثة عشر بيتاً .

***

وهو على صحة لغته وجزالة أسلوبه ورصانة قوافيه وشدة أسر شعره وطول باعه في فنون الشعر، لم يكن يحسن الأراجيز وماله منها إلا النزر اليسير على حسب ما وصل الينا منها . وقد يداخل في كلامه ويعاظل في تراكيبه ويقدم ويؤخر ويتجوز في استعمال الوحشي والغريب والإقواء وما هو أشبه باللحن لاحتياجه للتأويل والتقدير ، وذلك لثقته بنفسه واعتماده على سليقته ولقساوة في طبعه ، فإذا قيل له في ذلك، قال قلت لفلان من أصحاب النحو : احتل لذلك، وإذا حاجه أو عارضه نحوي قال : (علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا) وربما هجا من يدقق عليه . قال الأنباري في طبقات الادباء ص ٢٢

كان ابن أبي اسحق الحضرمي يرد كثيراً على الفرزدق ويكلمه في شعره فقال فيه الفرزدق :

فلو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبدالله مولى مواليا

فقال له ابن أبي إسحق ولقد لحنت أيضاً في قولك مولى مواليا وكان ينبغي أن تقول مولى موال . وسمعه مرة ينشد :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع　　من المال الا مسحتا أو مجلفُ

فقال له ابن أبي اسحق على أي شيءٌ ترفع أو مجلف ؟ قال على مايسوءك وينوءك . وهجا أيضاً من النحاة عنبسة الفيل تلميذ أبي الأسود الدؤلي فقال :

لقد كان في معدانَ والفيلِ زاجرٌ　　لعنبسةَ الراوي عليّ القصائدا

على ان أكثر النحاة وأصحاب اللغة كان يعجبهم هذا النوع العويص من شعر الفرزدق يشققون منه المسائل ويفرعون الأحكام ويتخذونه كالأحاجي، قال كردين : « سقطُ الفرزدق شيءٌ يمتحن الرجال فيه عقولهم حتى يستخرجوه » والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله يمدح خال هشام بن عبد الملك :

وأصبح مافي الناس إلا مملكا　　أبو امه حي أبوه يقاربهْ

وقوله :

وسيري إذا ما الطرمساء تطخطخت　　على الركب حتى يحسبوا القف واديا

وقوله :

نهيتُ ابنَ عفرا أن يعفر أمه　　كعفر السلا إذ عفرته ثعالبهْ

فان امرءاً يغتابني لم أطأ له　　حريماً ولم تنهاه عني أقاربهْ

وقوله :

خليفة أهل الأرض أصبح ضوءه ... به كان يهدي للهدى كل مهتدِ

وقوله :

لأم أتتنـا بالوليد خليفة ... من الشمس لو كان ابنها البدر أنجبُ

وقوله :

هو السيف الذي نصر ابنَ أروى ... به مروانُ عثمانَ المصابا

وقوله :

ان المصيبة ابراهيمُ مصرعه ... هدَّ الجبال وكادالركن ينفردُ

وقوله :

مامن يدي رجل أحق بما أتى ... من مكرمات عظائم الأخطارِ

من ساعد بن يزيدُ يقدحُ زنده ... كفاهمـا وأشد عقد جوار

وقوله :

ولم يكن الحجاج إلاعلى الذي ... هو الدين أو فقد الإمام ليجزعا

وقوله :

افاطم لو صاحبتهن عذرتنـا ... ولم تستطيعي القلةلان العشنزرا

وقال :

معلنكسِ الكينِ مجلوم مشافره ... ذي ساعد بن يسمى دارة القمرِ

وقوله :

القاتل القرنَ والأبطال كالحة   والجوع بالشحم يوم القِطقِط الشبِم

وقوله وقد جعل الفاعل مفعولاً به لأن روي القصيدة مضموم :

أنا المطعم المقرورَ في ليلة الصبا   وأجهل من يخشى الجهولَ بوائقهْ

وقوله :

وقد خبطت رحلي عليها مطيتي   إليك ولم تعلق قلوصي بصاحبِ

يريد : إليك خبطت مطيتي ورحلي عليها

وقال وفيه الأقواء :

ماضرها أن لم يلدها ابن عاصم   وأن لم يلدها من زرارة معبدُ

ربيبة دايات ٍ ثلاث ٍ ربينها   يلقمنها من كل سخن ومُبرَدِ

وقوله :

لو بابي جامع عرضت حاجتنا   انجحت أو ببني العوجاء من قَطَنِ

بنو قبيصة لاتخفى مكارمهم   من دون اعراضهم أموالهم جنن ُ

ومثله قوله :

لو أن اشيم لم يسبق اسنتنا   واخطأ البابَ إذ نيراننا تقدُ

إذاً لوافق مسعوداً وصاحبه   كلاهما خارجُ الأعفاج ِ والكبدِ

وقوله وقد جزم بعد لو :

لو يعلموا حسب المنيخ إليهم ... وعلى بيوتهم الطريق اللهجمْ

وقوله وقد خفف أيّ :

تنظرتُ نصراً والسماكين أيهما ... عليّ من الغيث استهلت مواطرهْ

وقوله :

تدار كني من هوة كان قعرها ... ثمانين بوعا للطويل العشنّقِ

وقوله وفيه التضمين :

ولمـا دعوت ابن المراغة للتي ... رهنتُ لها ابني اينّا للعظايمِ

أحقّ أباً وابناً وقوماً إذا جرى ... إلي المجد بالمستأثرات الجسايمِ

وقوله وقد أقحم الهاء في (فاضله) ولا موضع لها :

فإن أهجُ كعباً أو كلاباً فإنهم ... كلا طرفيهم للنميري فاضلهْ

وقوله وقد اقحم كان :

في حومة غمرت أباك بحورها ... في الجاهلية كان والإسلامِ

وقوله :

متقلداً لأبيه كانت عنده ... ارباقَ صاحبِ ثلةٍ وبهامِ

يريد متقلداً ارباقَ صاحب ثلة وبهام و كانت عنده تلك الأرباق وهي الحبال .

وقوله :

ولو أن سعداً أقبلت من بلادها   لجاءت بيبرينَ الليالي تَزَحَّفُ

أي لجاءت بيبرينُ بجيش مثل الليالي يملأ كلَّ شيء سوادُه .

وقوله :

إني وإن كانت تميم عِمارتي   وكنت إلى القُدموس منها القُماقِمِ

وقوله :

ضغا ضغوة في البحر لما تغطمطمت   عليه أعالي موجه وأسافلهْ

وقوله وقد فصل بين الصفة والموصوف :

هوى الخطفي لما اختطفتُ دماغه   كما اختطف البازي الخَشاشَ المُقارِعُ

وقوله :

إذا قيل أي الناس شرٌّ قبيلةً   اشارت كليب بالأكف الأصابعُ

رفع الأصابع باشارتْ ورفع كليب بمضمر كأنه قال هذه كليب .

وقوله :

حرب ومروان جدّاك اللذا لهما   من الروابي عظيمات الجماهيرِ

***

وكان الفرزدق يهتز للشعر الجيد كثيراً روي عنه أنه سمع منشداً ينشد قول لبيد :

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها　　زُبُرٌ تُجِدّ متونَها أقلامُها

فخرّ ساجداً فعوتب على ذلك فقال : أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر . ولما حضرته الوفاة جعل يكرر هذا البيت :

فظلتْ تعالى باليفاع كأنها　　رماح نحاها وجهةَ الريح راكزُ

وكأنه كان يريد أن يختص بإحسان الشعراء ، ويرى نفسه أولى به منهم ، فيغير على شعراء الجاهلية والإسلام أمواتاً وأحياء ويسلبهم أحسن ماقالوا غصباً ، كان يقول : « خير السرقة مالا يجب فيه القطع » قال صاحب الأغاني : وقف الفرزدق على جميل والناس مجتمعون عليه وهو ينشد :

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا　　وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

فأشرع إليه رأسه من وراء الناس وقال : أنا أحق بهذا البيت منك ، قال انشدك الله يا أبا فراس ، فمضى الفرزدق وانتحله .

ووقف على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت :

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعةً　　وبين تميم غير حز الغلاصمِ

فقال له : والله ياشمردل لتتركن لي هذا البيت أو لتتركن لي عرضك ، فقال خذه لابارك الله لك فيه ، فادّعاه الفرزدق

وجعله في إحدى قصائده . ومرّ الفرزدق بابن ميّادة وهو ينشد :

لو ان جميع الناس كانوا بربوة وجئت بجدي ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

فقال له : أما والله يا ابن الفارسية لتدعنه لي أو لأنبشن أمك من قبرها ، فقال له ابن ميّادة خذه لا بارك الله لك فيه ، فانتحل الفرزدق البيتين ووضع مكان ظالم دارما فقال « وجئت بجدي دارم وابن دارم » . وسمع ذا الرمة ينشد قصيدة له فأعجبه منها أربعة أبيات أولها :

أحين أعاذت بي تميم نساءها وجرِّدتُ تجريد اليماني من الغمد

فقال لراويته يا عبيد اضممها إليك . وروي أن أبا عمرو بن العلاء لقي الفرزدق فاستنشده بعض شعره فأنشده قول المتلمس :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيسُ

فقال له أبو عمرو : أوهذا لك يا أبا فراس ؟ فقال اكتمها ، والله لضوالُّ الشعر أحب إليّ من ضوالِّ الإبل .

***

والنقاد يشبهون الفرزدق بزهير بن أبي سلمى من حيث الجزالة وحسن التصرف والتنخل ، ولظهور القوة على شعره أكثر من الطبع كقوله :

ألمّا على أطلال سُعدى نسلم دوارسَ لما استُنطقت لم تكلمِ
وقوفًا بها صحبي عليّ وإنما عرفتُ رسومَ الدار بعد التوهم
يقولون لا تهلك أسى ولقد بدت لهم عبرات المستهام المتيم

والقصيدة كلها تشبه معلقة زهير ، على أن الفرزدق أشبه بامرئ القيس من حيث شدة الأسر وجفاء الطبع واتجاه الأهواء ولا سيما الغزل ، وقد كان يروي شعره .

ولقد استقام للفرزدق من الأبيات البارعة التي تجري مجرى الأمثال الجامعة بين شرف المعنى وشرف اللفظ ما لم يستقم لغيره ، فهو أكثر الشعراء الإسلاميين بيتًا مقلدًا من ذلك قوله :

فيا عجبًا حتى كليب تسبني كأن أباها نهشل ومجاشعُ

وقوله :

وكنا إذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادعُ

وقوله :

وكنتَ كذئب السوء لما رأى دمًا بصاحبه يومًا أحال على الدمِ

وقوله :

ترجي ربيع أن تجيء صغارها بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

وقوله :

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأُ القطرُ الإناءَ فيفعمُ

وقوله :

أحلامنا تزن الجبال رزانةً وتخالنا جنا إذا ما نجهلُ

وقوله :

فان تنج مني تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وقوله :

ترى كل مظلوم إلينا فراره ويهرب منا جهده كلُّ ظالمِ

وشعر الفرزدق في شدة الأسر ونخامة التركيب وقوة الرصف وإحكام القافية وجزالة الأسلوب وصحته في الذروة العليا كقوله :

تميم إذا تمت عليك رأيتها كليلٍ وبحرٍ حين يلتقيانِ

فضلنا بثنتين المعاشر كلهم بأعظم أحلام لنا وجفان

جبال إذا شدوا الحبى من ورائهم وجن إذا طاروا بكل عنان

وقوله :

أرى كل قوم ودّ اكرمهم ابًا إذاما انتمى لو كان منا أوائلهْ

فَخرْنا فَصدُّ قناعلى الناس كلهم ... وشر مساعي الناس والفخر باطلهْ

وقوله :

ألم يك جهلاً بعد سبعين حجة ... تذكر أم الفضل والرأس أشيبُ
وقيلك هل معروفها راجع لنا ... وليس لشيء قد تفاوت مطلب
على حين ولى الدهر إلا أقله ... وكادت بقايا آخر العيش تذهب
فإن تؤذنينا بالفراق فلستم ... بأول من ينسى ومن يتجنب
ورب حبيب قد تناسيت فقده ... يكاد فؤادي إثره يتلهب
أخي ثقة في كل امر ينوبني ... وعند جسيم الأمر لا يتغيب
قرعت ظنابيبي على الصبر بعده ... فقد جعلت عنه الجنائب تُصحِبُ[1]

وقوله :

وكان نُفَيْعٌ إذ هجاني لأمه ... كباحثة عن مدية تستثيرها
عجوز تصلي الخمس عاذت بغالب ... فلا والذي عاذت به لا اضيرها
فاني على إشفاقها من مخافتي ... وان عقّها بي نافع لمجيرها

وشعره في جملته يدل على قدرة الشاعر وبعد نظره واحاطته بما يرمي إليه من الأغراض ، وسعة مخيلته وإنفساح مجاله ، ولذلك

---

(١) الظنبوب: عظم الساق ، يقال قرعت ظنبوبي على الأمر إذا اعتزمت عليه ، والجنائب : اراد بها نفسه ، وإصحابها : انقيادها وسلوها .

كثرت فيه الصور ، ولكن أكثره غير منتزع من النفس أوقل إنه منتزع من طبع جاف ، لذلك فهو يعجب ويستدعي الإكبار ، ولكنه لا يمتزج باجزاء النفس كشعر المطبوعين ، وهـذا معنى قولهم : « الفرزدق ينحت من صخر » على أن الباعث الشعري إذا خاص إلى نفسه وهزّها — وقليلاً مـا يخلص — صـدر عنها ما يطرب ويشجي كأبياته في طلاق النوار وبعض أبيـاته في رثاء بنيه وهي :

إذا ذكرت أسماؤهم أو دعوا بها ... تكاد حيازيمي تفرّى صلابها

إذا ذكرت عيني الذين هم لها ... قذى هيج منها البكاء انسكابها

هجرنا بيوتاً أن تزار وأهلها ... عزيز علينا يانوار اجتنابها

ومازلت أرمي الحرب حتى تركتها ... كسيرَ الجناح ماتدف عقابها

وكقوله في حب بنيه :

ألا زعمت عرسي سويدة أنها ... سريع عليها حفظتي للمعاتب

ولولا أُبَيْنُوهـا الذين أحبهم ... لقد أنكرت مني عنود الجنائب

ولكنهم ريحان قلبي ورحمة ... من الله أعطاها مليك العواقب

وهو على كثرة إحسانه وحسن تصرفه وسعة ميدانه ووفرة ما تناوله من المعاني والمواضيع في شعره ، يجيد الفخر كثيراً لمـا

رُكِّبَ في طبعه من حب التفاخر والتعاظم والتيه ، ويجيد الهجاء لأنه سلاح يذود به عن دعواه في فخره ، ويستعمله في وجه من يهاجمه وينكر عليه تلك الدعوى ، وكثيراً ما اتخذه آلة يرهب بها النـاس لأغراض شتى . ومدحه يعرب عن مقدرة عظيمة ولكنه كثير الغلو والمبالغة . ووصفه=على قلة قصائده المخصصة للوصف=من أجود الشعر ،ومزية الوصف شائعة في كثير من شعره . وغزله في جملته شهواني فيه مجون وفجور ، ولكنه أصدق أنواع شعره ،لأنه يصور نفس الفرزدق كما هي . ورثاؤه قليل لايعتد به كما يعتد بفخره وهجائه . وله في الأدب والحكمة أبيـات تمثل الطبع العربي المتـأثر بالإسلام ، فبعضها يجري مجرى المثل ، وبعضها فيه زهد وتوبة ونسك . وله معان لاتدخل تحت باب من الأبواب المصطلح عليها ، ذكر فيها حوادث خاصة وعامة تفيد كثيراً في تفهم سيرته واخلاقه، كما تدل على مقدرته وإتخاذه الشعر اداة صالحة لتصوير حياته ومحيطه .

فخره

الفرزدق فخور مختال تيّاه ، يعتدُّ بنفسه كثيراً ويذهب بها بعيداً ، ينسب لنفسه المناقب الحميدة كالكرم والشجاعة والرفعة ، فيفخر ببذله ويشبه نفسه بالأسد والبحر والحية والبدر والذهب قال :

قالوا لها احتسبي جريراً إنه — أودى الهزبر به أبو الأشبالِ

وقال :

ذباب طار في لهوات ليث — كذاك الليث يلتهم الذبابا

هزبر يرفت القصرات رفتاً — أبى لعداته إلا اغتصابا

وقال :

وقد منيتَ مني كليب بضيغم — ثقيل على الحبلى جرير كلاكله

وقال :

باية زعتيك تنـال قومي — إذا بحري رأيت له عبابا

ترى أمواجه كجبال لُبني — وطودِ الخيف إذا ملأ الجنابا

إذا جاشت ذراه بجنح ليل — حسبت عليه حرّاتٍ ولابا

محيطاً بالجبال له ظلال — مع الجرباء قد بلغ الطبابا [1]

---

(١) الجرباء : السماء . والطباب : المجرة .

وقال :

فكيف وقد فقأت عينيك تبتغي ... عناداً لنابيْ حيّةٍ قد توبّدا
من الصم تكفي مرةً من لعابه ... وما عاد إلا كان في العود أحمدا
ترى ما يمس الأرضَ منه إذا سرى ... صدوعاً تفأى بالدكادك صُلّدا
عمدتَ إلى بدر السماء ودونه ... نفانف تثني الطرف أن يتصعّدا

وقال :

انا البدر يعشي طرف عينيك فالتمس ... بكفيك يا ابن الكلب هل انت نائله

وقال :

ودّ جرير اللؤم لو كان عانياً ... ولم يدن من زأر الاسود الضراغمِ

ويدل بشاعريته كثيراً ، فيدعي أنه ورث فحول الشعراء وجمعهم في شخصه ، لذلك فشعره لا يقدر على الإتيان بمثله أحد قول :

وهب القصائدَ لي النوابغُ إذ مضوا ... وابو يزيد وذو القروح وجرول [1]
وأخو بني قيس وهن قتلنه ... ومهلهل الشعراء ذاك الاول [2]

---

(١) النوابغ : هم النابغة الذبياني والنابغة الجعدي والنابغة الشيباني ، وابو يزيد : هو المخبّل ، وذو القروح : امرؤ القيس ، وجرول : الحطيئة .

(٢) اخو بني قيس : طرفة .

والأعشيانِ كلاهما ومرقِّش وأخو قضاعة قوله يتمثّل[1]
دفعوا إلي كتابهن وراثةً فورثتهن كأنهن الجنـدل

وقال :

سأجزيك معروف الذي نلتني به بكيفك فاسمع شعر من قد تنخّلا
قصائدَ لم يقدر زهير ولا ابنه عليهـا ولا من حوله المخبّلا
ولم يستطع نسجُ امرئ القيس مثلَها وأعيتْ مراقيها لبيداً وجرولا
ونابغتي قيس بن عيلان والذي أراه المنايا بعضُ ما كان قوّلا

وأيُّ اعتداد بالنفس أبلغ من قوله وهو يجود بنفسه في الساعة التي يخور فيها الجبار ويضرع العزيز :

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الامر جلّ عن الخطابِ

وفخره بعشيرته وآبائه أشد كثيراً من فخره بنفسه ، فتميم أعز العرب بأساً وعدداً ، ودارم معدن الكرم ، ومجاشع خيرة دارم ، وصعصعة من أنصاف الآلهة رد على الموؤدات حياتهن :

وجدي الذي منع الوائدات وأحيـا الوئيد فلم يوأدِ

وقال :

أنا ابن الذي رد المنيةَ فضلهُ فما حسبٌ دافعتُ عنه بعور

---

(١) الأعشيان : اعشي قيس واعشي باهلة • واخو قضاعة : ابو الطمحان القيني •

وغالب صاحب النار التي لا تخمد ، والذى يعطي العفـاة ولا يسأل من هم ، والذي أحيا النفوس بجوده يوم صوأر ، والذي فك العناة حياً وميتاً :

إذا عجز الأحياء أن يحملوا دماً　　أناخ الى أجداثنا كل غارمِ

لذلك فإن الذي سمك السـماء ، رفع للفرزدق من هؤلاء الآباء ، بيتاً يطاول السماء ، والله يفعل ما يشاء :

إن الذي سمك السماء بنى لنا　　بيتاً دعائمه أعز واطولُ

بيتاً زرارةُ محتبٍ بفنائه　　ومجاشع وابوالفوارس نهشل

وكل من انتسب إلى تميم من المعروفين في الجاهلية والإسلام ، كحاجب وزرارة وعدس والزبرقان وناجية وعقال ونهشل ، يشيد بذكرهم وينوِّه بفضائلهم ، وقد حفظ فخر الفرزدق أخبـار تميم وأيامهم ومفاخرهم ومناقب أجوادهم وبلاء فرسانهم ، ومالهم من عز وبأس ومنعة وكرم في الجاهلية والإسلام . وكما يفتخر الفرزدق بآبائه وأعمامه ، فانه يفتخر باخواله بني ضبة ويذكر مناقبهم .

وقد استحوذت خاصة الفخر عليه حتى لتسمع صداهـا في جميع شعره ، فإذا مدح غيره لاينسى أن يمدح نفسه ، وربما مهَّد بالفخر

للمدح ، كما يمهد الشعراء بالغزل أو ذكر الطلل ، فكأنه يتغزل بمكارم آبائه وينسب بنسبه ، كما يتغزل غيره من الشعراء بحسان النساء . وإذا رثى جعل موت آبائه تأساءً وتعزيةً مهما جل خطب الميت ولو كان ابنه قال :

يذكّرني ابني السما كان موهناً   إذا ارتفعا بين النجوم التوائم
ومن قبلُ مات الأقرعان وحاجب   وعمروٌ ومات المرْقيس بن عاصم
ومات أبي والمنذران كلاهما   وعمرو بن كلثوم شهاب الأراقم

ولعلك تشم رائحة الفخر من قوله في وصف الذئب :

ولو غيرَنا نبهتَ تلتمس القرى   رماك بسهم أو شباة سنان

واغرب من ذلك كله أن يرثي جنيناً له ، حملت به امه من الفرزدق سفاحاً ، وماتت وهي حامل ، فمات في جوفها ، فقال يرثيه لأنه ابن الفرزدق وسليل دارم :

وغمدِ سلاحٍ قد رزئت فلم أنخْ   عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارمٍ ذو حفيظةٍ   لو أن المنايا أنسأته لياليا

وخاصة الفخر زادت طبعه جفاءً ، واستدعت نفور الخلفاء والولاة منه ؛ عاتب مرةً معاوية بن أبي سفيان لحبسه عطاء عمه الحُتات وافتخر عليه بقوله :

وكم من أب لي يا معاوي لم يزل ... اغرَّ يباري الريحَ ما أزورَّ جانبُهْ
نمته فروع المالكين ولم يكن ... أبوك الذي من عبد شمس يقاربه

فوسعه حلم معاوية على عادته ، ولكن زياد بن أبيه حفظها له وتحين له الفرص حتى اضطهده وشرده من العراق . واستنشده مرةً سليمان بن عبد الملك وهو يرى أنه سينشده مديحاً له فأنشده قوله يفتخر :

وركبٍ كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترةً من جذبها بالعصائبِ
سروا يركبون الريح وهي تلفّهم ... إلى شعب الأكوار من كل جانب
إذا آنسوا ناراً يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

فاغتاظ سليمان وكلح في وجهه . ولقد فُتن الفرزدق بمناقب عشيرته حتى يرى أن كل ما يصدر عنها مفخرة ، وإن كان ليس فيه مفخر ، أو قل ان الكناية به غير مستحسنة كقوله :

ونحن بنو الفحل الذي سال بوله ... بكل بلاد لا يبول بها فحلُ

وقوله :

أبي الشيخُ ذو البول الكثير مجاشعٌ ... نماني وعبدالله عمي ونهشلُ

وشعر الفرزدق في هذا الباب من حر الشعر وخالصه، ومن أحسن مقال، يفحل ويجزل، ويقوى ويشتد، ويطول نفسه ويتسع مداه،

وُيحسن التصرف ويجيد التأويل والاعتذار :

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناقَ حملُ المغارمِ

ويكون مع جزالته ونخامته منسجماً مطّرداً قليل التعسف والاجتلاب كقوله :

إذا متُّ فابكيني بما أنا أهلُهُ فكلُّ جميلٍ قلتِ فيَّ يصدّقُ
وكم قائلٍ مات الفرزدق والندى وقائلةٍ مات الندى والفرزدق

والأمثلة على إحسانه في هذا الباب كثيرة لاسبيل لاستقصائها منها قوله :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا ياجرير المجامعُ
فياعجباً حتى كليب تسبني كأن أباها نهشل ومجاشع
ولكن هما عمّاي من آل مالكٍ فأقعِ فقد سُدّتْ عليك المطالع
أتعدل أحساباً لئاماً أدقةً بأحسابنا إني إلى الله راجع
وكنا إذا الجبار صعّر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وقوله :

ولو كانت الأحداث يدفعها امرؤٌ بعز لما نالت يدي وعريني

وقوله :

ولو رفع الإلهُ إليه قوماً لحقت بالسماء مع السحبِ

وقوله :

سيعلم من سامى تميماً إذا هوتْ قوائمه في البحر مَن يتخلّفُ

فسعدٌ جبال العز والبحرُ مالكٌ فلا حَضَنٌ يبلى ولا البحرُ يُنزف

وقوله :

فان تك كلبا من كليب فإنني من الدارمين الطوال الشقاشقِ

هم الداخلون البيتَ لا تدخلونه على الملك والحامون عند الحقائق

ونحن إذا عدّتْ معدٌّ قديمَها مكانَ النواصي من وجوه السوابق

هجاؤه

لم يقل الفرزدق في هجائه الكثير بيتاً أصدق من قوله :

وما حملت امرأة في ضلوعها   أعق من الجاني عليها هجائيا

لقد كان الهجاء في الجاهلية وصدر الإسلام على مرارته بعيداً عن الفحش، كالذي نراه في هجاء حسان بن ثابت والحطيئة. فلما نبغ الفرزدق واستحر الهجاء بينه وبين جرير لم يقفا عند حد، أحاطا بما في طريقة الجاهليين والمخضرمين من لذع وتهكم وتعريض، وتجاوزاها إلى هتك الأعراض، والإقذاع في السب والإفحاش في الشتيمة، والنيل من المحارم والفرزدق مطبوع على الهجاء مارسه أكثر من سبعين سنة، بدأ به حياته الشعرية واختتمها به، فلقد قال: « كنت وأنا غلام في أيام عثمان أهجو شعراء قومي» واستمرت المهاجاة بينه وبين جرير نحواً من خمسين سنة حتى أسكته الموت . وطالما استعمل الهجاء أداة إرهاب يبتز بها أموال الناس، فلقد كان له جعل على منية بنت الصلت الحنفي تعطيه في كل سنة خمسماية درهم، وكان الناس يشترون أعراضهم منه . كما فعل رجل من بني بهدلة

اسمه حمام. ولولا خوف الفرزدق لفضّل أن يهجو الناس ويأخذ أموالهم بدلاً من أن يمدحهم، يدلك على ميله للهجاء أن رجلاً اسمه ابن روّاد حلّفه أن لا يهجوه ماعاش، ولم يخطر على باله أن يشتري منه عرضه بعد مماته، فأمسك عنه الفرزدق حتى مات فقال يهجوه :

تبكي الخمورُ وتبكي كلُّ زانية لا المحصناتُ على قبر ابن روّادِ

وأراد المهاجر بن عبدالله الكلابي أن يصلح بينه وبين جرير فأهدى إليه الفرزدق هذه الحلة المحبّرة . . .

واني لمهدٍ للمهاجر حلةً محبّرةً من بظر ام جريرِ

وقدّم بين يدي تلك الهدية هذه التحية :

كأن كلابٌ أطولَ الناس لحيةً فزاد عليها بظر ام المهاجرِ

وقد يمدح الفرزدق من يرجو نواله أو يخشى بأسه ويرثيه أيضاً اذا مات، فإذا انقطع أمله أو زال خوفه هجاه، كما فعل بالحجاج فقد مدحه حياً ورثاه ميتاً، فلما بويع بالخلافة لسليمان بن عبد الملك وهو عدو الحجاج هجاه .

والفرزدق في هجائه واسع العطن فسيح المدى كثير الفنون، لا يقف عند حد في مناضلة خصمه، يذكر المخازي ويصرح بالمثالب،

ويفحش في النيل من الأمهات والأخوات والبنات ، ويتهكم ويسخر ويختلق ويكذب ويذكر العورات ، ويخصب خياله فيحكم التشبيه ويجيد الاستعارة ويعرض على الأنظار صوراً شتى تمثل خساسة المهجو في نفسه وأهله وعشيرته ، من غير أن يزعه دين أو يردعه حياء . وهجاؤه لغير جرير أقل إقذاعاً وأكثر ماقاله في الهجاء موجه لجرير ، لأنه قضى أكثر حياته في مناضلته ، فجمع من أهاجيهما كتاب كبير سمي بنقائض جرير والفرزدق . وبراعة الفرزدق في هذا الباب وإحسانه — أن صح أن يسمى احسانا — ومقدرته مجموعة في النقائض ، فتراه يصم جريراً بالخسة والدناءة وأنه راع للغنم ، وينال من امه ويشتم أباه ، وان جريراً على حقارة بيته دعي يسرق من شعر الفرزدق ، وأن أمه فاجرة وأنه مهتوك العرض ، ويدعوه بابن المراغة ، وان بني كليب لؤماء ونساءهم قبيحات فواجر ، وهم من رجال ونساء كالظربى والجعلان ، وأن جريراً جنى على قومه أعظم جناية لأنه هاج الفرزدق عليهم وعجز عن حمايتهم ، وقد يختلق مواقف لجرير وأمه ، كأن يشكو جرير لأمه عجزه عن مصاولة

الفرزدق ، فتقرعه أمه على تعرضه له ، لأن بني كليب لؤماء لايجد فيهم مايفتخر به . ويعير جريراً بالحمير وأن قومه يتخذونها بدل الخيل وأنهم غير فرسان بل أصحاب حمير ومعزى ، وربما نال من عشيرة جريراً كثر مما ينال من جرير نفسه ، فيذكر مثالبها ومخازيها والأيام التي كانت عليها في الجاهلية والإسلام . وجميع أهاجيه مملوءة بالفخر بنفسه وعشيرته ، وقد يكون الفخر في القصيدة أكثر من الهجاء ، فما كان جرير لئيماً إلا كان الفرزدق كريماً ، وما ذلت بنو كليب إلا عزت بنو مجاشع ، وهكذا دواليك في المقابلة بين الأضداد . والأمثلة على مانقول في هجائه كثيرة جداً . منها قوله يهجو الطرمّاح بن حكيم الطائي :

تسبني طيء في أن عجبتُ لها ... لما نعلّت ومن لا يُعجبُ العجبُ

وإنما طيء رجلٌ مؤخرةٌ ... عرجاء ليس لها فوت ولا طلب

ان طيء صدقت فاللؤم محتدها ... وما لهم مفخر إلا إذا كذبوا

إن الطرمّاح يهجوني لأرفعه ... هيهات هيهات غيلت دونه القضب

وقوله :

ما الباهلي بصادق لك وعده ... ومتى تعدك الباهلية تصدقِ

وقوله :

يهدي الوعيد ولايحوط حريمه كالكلب ينبح من وراء الدارِ

وقوله :

لوأن قِدراًبكت من طول ما حُبِستْ على الحفوفِ[1] بكتْ قدرُ ابن جبارِ
ما مسها دسم مذ فُضَّ معدنها ولارأت بعد عهد القين من نار

وقوله :

قبح الإلهُ بني كليب انهم لا يغدرون ولا يفون لجار
يستيقظون إلى نُهاق حمارهم وتنـام اعينهم عن الأوتار

وقوله :

تريح المخازي جعفرٌ كلَّ ليلةٍ عليها وتغدو حين يغدو بكورها
وما مات زوج الجعفرية ماغدا عليها ابنها عند احتلام يزورها

وقوله :

الوالداتُ وما لهن بعولةٌ والقاتلاتُ لهن كلَّ صغيرِ
والمدلجاتُ إذا النجومُ تغوّرتْ والتـابعاتُ دعاء كل صفير
والجعفريةُ حين يحتلم ابنُها لأبيه في الخلوات شر عشير

وقوله :

يظل إليه الجحشُ ينهق ان علتْ به الريح من عرفانه من لا يزيدُ

(١) الحفوف : قلة الدسم .

وقوله :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجومُ الليل ما وضحتْ لسارِ
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضحَ النهار
و ما يغدو عزيز بني كليب ليطلب حاجة إلا بجار

مدحه

مدح الفرزدق كثير ويكاد يكون كله في سبيل الاستجداء ، وهو نفسه لا يرى غضاضة في التصريح بذلك ، فقد يذكر خلته وخصاصته في قصائده التي مدح بها خلفاء بني امية ، ولا سيما ما قاله في آخر عمره ، فان فيه ما هو أشبه بذل المسألة ، لا يأتلف مع تيهه وتعاظمه ، ولا يكاد الانسان يصدق أن من قال في أول عمره لمعاوية بن أبي سفيان :

وكم من أب لي يامعاوي لم يزل ... اغرّ يباري الريح ماأزورّ جانبه
نمته فروع المالكين ولم يكن ... أبوك الذي من عبد شمس يقاربه

يقول في آخر عمره لهشام بن عبد الملك :

ومن أين أخشى الفقر بعد الذي التقى ... بكفيك من معروف ما انا طالبه
فان ذَنوبًا من سجالك مالئ ... حياضي فأفرغ لي ذَنوبا انا هبه

ويقول للوليد بن عبد الملك :

شكونا اليك الجهد في السنة التي ... أقامت على أموالنا آفة المحل
فلم يبق من مال يسوم لأهله ... ولا مرتع في حزن أرض ولا سهل

وفي مدح الفرزدق غلو ومبالغة لأنه اتخذه عملا يعيش من ورائه .

مرّ عمران بن حطان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليه ثم قال :

ايها المادح العباد ليعطى   إن لله بايدي العبادِ
فاسأل الله ما طلبت إليهم   وارج فضل المقسم العواد
لا تقل في الجواد ماليس فيه   وتُسم البخيل باسم الجواد

فقال الفرزدق : لولا ان الله عزوجل شغل عنا هذا برأيه للقينا منه شرا .

ومدحُ الفرزدق لخلفاء بني امية فيه براعة ومقـدرة يظهر عليه الطابع السياسي جلياً واضحاً أكثر من كل مـا مدحهم به الشعراء ، حتى أخص أنصارهم كالأخطل وجرير وعدي بن الرقاع ، فهو داعية لهم ولسياستهم يجاهر بأنهم أجـدر العرب بالملك ، وان حقهم في الخلافة لا يختلف فيه اثنان ، وأن الله اختارهم لخلافته ، فهم الهادون المهديون يضربون بسيف رسول الله ، وان اعداءهم كأعدائه يوم بدر ، و انهم ورثوا الخلافة عن عثمان الذي أخذها بحكم الشورى ، وان الوحي يكاد يتنزل عليهم ، وان الشرف والكرم في عبد شمس وهاشم في الجاهلية والاسلام من ذلك قوله :

وجدنا بني مروان أوتادَ ديننا ... كما الأرضُ أوتادٌ عليها جبالُها
فأنتم لهذا الدين كالقبلة التي ... بها أن يضل الناس يُهدى ضلالها

وقوله في يزيد بن عبد الملك :

وما وجد الإسلامُ بعد محمد ... وأصحابه للدين مثلك راعيا
ضربتَ بسيف كان لاقى محمدٌ ... به أهل بدرٍ عاقدين النواصيا
سعى الناس مذ سبعون عاماً ليقلعوا ... بآل أبي العاصي الجبال الرواسيا
فما وجدوا للحق أقرب منهم ... ولا مثل وادي آل مروان واديا

وقوله في يزيد أيضاً :

لو لم يبشِّر به عيسى وبيَّنه ... كنتَ النبي الذي يدعو إلى النورِ
فأنت إذ لم تكن إياه صاحبُه ... مع الشهيدين والصدِّيق في السور
في غرف الجنة العليا التي جُعلت ... لهم هناك بسعي كان مشكور
صلى صُهيبٌ ثلاثاً ثم أنزلها ... على ابن عفان ملكاً غير مقصور
وصيةً من أبي حفص لستتهم ... كانوا أحباء مهدي ومأمور
مهاجرين رأوا عثمان أقربهم ... إذ بايعوه لها والبيتِ والطور
فلن تزال لكم والله أثبتها ... فيكم إلى نفخة الرحمن في الصور

وقوله في عبد الملك بن مروان :

إذا أتيتَ أمير المؤمنين فقل ... بالنصح والعلم قولاً غير مكذوبِ

أمّا العراقُ فقد أعطتك طاعتها ... وعاد يعمر منها كل تخريبِ
فالأرض لله ولاّها خليفته ... وصاحبُ الله فيها غير مغلوب
بعد الفساد الذي قد كان قام به ... كذاب مكة من مكر وتخريب
راموا الخلافة في غدر فأخطأهم ... منها صدور وفازوا بالعراقيب
والناس في فتنة عمياء قد تركتْ ... أشرافهم بين مقتول ومحروب
دعوا ليستخلف الرحمنُ خيرَهم ... والله يُسمع دعوى كل مكروب
فانقضّ مثل عتيق الطير تتبعه ... مساعرُ الحرب من مُردٍ ومن شيب
وقد رأى مُصعبٌ في ساطع سبط ... منها سوابقَ غارات أطانيب
فأصبح الله ولّى الأمرَ خيرَهم ... بعد اختلاف وصدع غير مشعوب
تراث عثمان كانوا الأولياء له ... سربال ملك عليهم غير مسلوب

وقوله في الوليد بن عبد الملك :

ومازلت أرجو آل مروان أن أرى ... لهم دولةً والدهر جمٌّ دوائرُهْ
لدن قُتل المظلومُ أن يطلبوا به ... ومولى دمِ المظلوم منهم وثائره
وما لهم لا يُنصرون ومنهم ... خليل النبي المصطفى ومهاجره
ملوك لهم ميراث كل مشورة ... وبالله طاوي الأمر منهم وناشره

وكان يلقب سليمان بن عبد الملك بالمهدي، قال من قصيدة يمدحه بها :

ألا تشكرون الله إذ فكّ عنكم ... أداهمَ بالمهدي صُمّاً ثقالها

وقال :

وما قام مذ مات النبي محمد　　وعثمانُ فوق الأرض راعٍ يعادلُهْ
فأصبح صلبُ الدين بعد التوائه　　على الناس بالمهدي قُوِّم مائله

وقال في معاوية بن هشام :

ورثوا تراث محمد كانوا به　　أولى وكان لهم من الأقسامِ

وقال في هشام بن عبد الملك :

ولو أُرسل الروحُ الأمينُ إلى امرئٍ　　سوى الأنبياء المصطفين الأكارمِ
إذاً لأتت كفَّيْ هشامٍ رسالةٌ　　من الله فيها منزلات العواصم

وقال في سليمان بن عبد الملك :

كنا ننادي الله نسأله　　في الصبح والأسحار والعصرِ
أن لا يميتك أو تكونَ لنا　　أنت الإمام ووالي الأمر
فأجاب دعوتنا وأنقذنا　　بخلافة المهدي من ضر

وقال في الوليد بن عبد الملك :

قضيتَ قضاء في الخلافة ثابتاً　　مبيناً فقد أسمعتَ من كان ذا عقلِ
فمن ذا الذي يرجو الخلافة منهم　　وقد قمتَ فيهم بالبيان وبالفصل
وبينتَ أن لا حق فيها لخاذل　　تربّص في شك وأشفق من مثُل

وقال فيه:

إذا مارحى زالت بقوم ضربتَها   عَلى الدين حتى يستقيم ثِقالُها
بسيف به لاقى ببدر محمدٌ   بني النضرفي بيض حديثٍ صقالها
رأيتُ بني مروان إذ جدجدهم   علا كلّ ضوء في السماء هلالها
أرى الحق قاد الناس من كل جانب   إليكم من الآفاق تلقى رحالها
رأَيت بني مروان أَفلجَ حقُهم   مشورةَ عثمانَ الشديدَ مِحالها

وقال :

هل تعلمون بني أمية قاتلوا   الا بسيف نبوّةٍ لم يُفللِ

ولقد مدح ستة من خلفاء بني أُمية هم عبدالملك بن مروان، وأولاده الأربعة الوليد وسليمان ويزيد وهشام، وابن أخيه عمر ابن عبد العزيز، ولكنه لم يفد على خليفة مادحاً قبل سليمان ابن عبد الملك . ويزعم بعد ذلك بعض من ترجم للفرزدق أنه كان يتشيع .

وإذا مدح أمراءهم وعمّالهم قال إنهم جبال الأرض، لولاهم لزلزلت ولطغى بعض الناس على بعض، وهم سيوف الله سلَّها على أعدائه ؛ والفرزدق سمح جواد بألقاب المدح وصفات التقريظ ، ولكنه حاذق نافذ البصر يمدح الرجل بما يليق أن

يمدح به ، وينظر إلى خصائصه فيضفي عليها ثوباً من المبالغة كقوله في الحجاج :

أميرَ المؤمنين وقد بلونا أمورك كلها رشداً صوابا
تعلم أنما الحجاج سيف تحز به الجماجم والرقابا
هو السيف الذي نصر ابنَ أروى به مروانُ عثمانَ المصابا
إذا ذكرتْ عيونُهم ابنَ أروى ويومَ الدار اسهلت انسكابا
عشيةَ يدخلون بغير اذن على متوكل وفّى وطابا
رأيت الناس قد خافوك حتى خشوا بيديك او فرقوا الحسابا

ومدحُ الفرزدق في جملته من أبواب شعره الجيدة ومن أحسنه قوله :

إني رأيت يزيد عند شبابه لبس التقى ومهابة الجبّار
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضعَ الرقاب نواكسَ الأبصار

وقوله :

أغرُّ كأن البدر فوق جبينه متى تره البيضُ الدهاقين تسجد

وقوله :

ترى الشمُّ الجحاجح من قريش إذا ما الأمر في الحدثان عالا
قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

***

وصف

الفرزدق واسع المخيلة حسن الملاحظة جيّد القصص ، وهذه المزايا أهم عناصر الوصف في الشاعر . قد تكون قصائده المصروفة للوصف قليلة ، لأن وحدة الموضوع في القصائد العربية لعهد الفرزدق لا تكاد توجد ، ولكن خاصة الوصف شائعة في شعره ، فهو إذا افتخر أو هجا أو مدح تراه يصطنع صوراً جميلة على سبيل الاستطراد والتفريع ، ولقد تناول بشيء من البسط وصف الجيش والسفن والذئب والنعسان والإبل والبادية ، وهكذا فهو يتناول وصف المرئيات أكثر من المعنويات ، وهو أيضاً أميل إلى الأسلوب القصصي في الوصف ، وخاصة القصص تظهر أوضح في غزله ، وسيأتي الكلام عليها في فصل خاص . ولو توسع فيما كان يتناوله من المعاني على سبيل الاستطراد أو الإلمام أو التشبيه أو التمثيل أو الإشارة ، لو توسع أو خصص ، لخلّف للأدب العربي صوراً من أروع الصور الشعرية . ومهما يكن فان خاصة الوصف قوية في نفس الفرزدق قال يصف جيشاً :

وجيشٍ ربعناه كأن زُهاءَه ... شماريخ طودٍ مشمخرٍّ مخارمُهْ
كثير الحصى جم الوغى بالغ العدى ... يُصم السميعَ رِزُّه وهماهمه
لُهامٍ تَظلّ الطير تُؤخذ وسطه ... تُقاد إلى أرض العدو سواهمه
مطونا به حتى كأن جياده ... نوىً خَلّقته بالضُروس عواجمه
قبائله شتى ويجمع بيننا ... من الامر ماتلقى إليه خزائمه
إذا ماغدا من منزل سهّلتْ له ... سنابكُه صمّ الصوى ومناسمه
إذا ورد الماء الرواء تظامأت ... أوائلُهْ حتى يماح عيالمه
دهمنا بهم بكراً فأصبح سبيهم ... تُقَسَّمُ بالأنهاب فينا مغانمه
غزونا به أرض العدوّ وموّلت ... صعاليكنا أنفالُه ومقاسمه

وقال يصف سفينة :

وراحلةٍ قد عوّدوني ركوبها ... وما كنت ركاباً لهاحين تُرحلُ
قوائمها أيدي الرجال إذا انتحتْ ... وتَحمل مَن فيها قُعوداً وتُحمل
إذا ماتلقتها الأواذيُّ شقّها ... لها جؤجؤٌ لايستريح وكلكل
إذا رفعوا فيها الشراع كأنها ... قَلوص نعامٍ أو ظليمٌ شمردل

وقال يهدد جريراً بشجة هذه صفتها :

ولو لاحياءٌ زدتُ رأسك هَزْمةً[(1)] ... إذا سُبرتْ ظلّتْ جو نبه تغلي

(١) الهزمة : الشق .

بعيدةُ أَطرافِ الصدوعِ كأنها ... ركيةُ لقمانَ الشبيهةِ بالدحلِ [1]

إذا نظرَ الآسونَ فيها تقلبتْ ... حماليقهم من هولِ أنيابها الثُّعلِ

إذا ما رأتها الشمسُ ظلَّ طبيبها ... كمن ماتَ حتى الليلِ مختلسَ العقلِ

يودُّ لكَ الأدنونَ لو متَّ قبلها ... يرونَ بها شراً عليكَ من القتلِ

ترى في نواحيها الفراخَ كأنما ... جثمنَ حوالَيْ أمِّ أربعةٍ طُحلِ [2]

شرنبثةٌ شمطاءُ من يرَ ما بها ... تشبْهُ ولو بينَ الخماسيِّ والطفلِ [3]

إذا ما سقوها السمنَ أقبلَ وجهها ... بعيني عجوزٍ من عرينةَ أو عكلِ

جنادفةٌ سجراءُ تأخذُ عينها ... إذا اكتحلتْ نصفَ القفيزِ من الكحلِ [4]

وقال يصف البادية والقطا والناقة :

وبيداءَ تغتالُ المطيَّ قطعتُها ... بركابِ هولٍ ليسَ بالعاجزِ الوغلِ

إذا الأرضُ سدتها الهواجرُ وارتدتْ ... مُلاءَ سمومٍ لم يسدينَ بالغزلِ

وكانَ الذي يبدو لنا من سرابها ... فضولَ سيولِ البحرِ من مائهِ الضحلِ

ويدعو القطا فيها القطا فيجيبه ... توائمُ أطفالٍ من السبسبِ المحلِ

---

(١) ركية لقمان : بئر ، والدحل : الخرق العظيم .

(٢) الفرخ : الدماغ يريد أنه قد قطع دماغه فكأنها فراخ جثمن حول امهن ، وام الدماغ الجلدة التي تغشاه .

(٣) الشرنبثة : القبيحة ، والخماسي : الذي طوله خمسة اشبار .

(٤) الجنادفة : القصيرة ، والسجراء : الحمراء . نقائض جرير والفرزدق ص ١٣٠

دوارجُ أخلفن الشكير[1] كأنما ... جرى في مآقيها مرواد من كحلِ
يُسقّين بالموماة زُغباً نواهضاً ... بقايا نطافٍ في حواصلها تغلي
تمجُّ أداوى في أداوى بها استقت ... كما استفرغ الساقي من السجل بالسجل
وقد اقطع الخرقَ البعيدَ نياطُه ... بمائرة الضبعين وجناء كالهقل
تزيدُّ في فضل الزمام كأنها ... تحاذر وقعاً من زنابير أو نحل
كأن يديها في مراتب سُلّم ... إذا غاولت أوب الذراعين بالرجل
تأوّهُ من طول الكلال وتشتكي ... تأوّهَ مفجوعٍ بثكلٍ على ثكل

وقال في اسد :

وَردُ السَّراة ترى سوداً ملاغمه ... مجاهر القرن لا يكتنُّ بالخَمَرِ
كأن عينيه والظلماءُ مسدفةٌ ... على فريسته ناران في حجر
كأن عطّارةً باتت تعلُّ له ... بالزعفران ذراعي مخدر هصر

وقال يشبه حسناء بدرةٍ هذه صفتها :

كدرةِ غوّاصٍ رمى في مهيبة ... بأجرامه والنفسُ يَخشى ضميرُها[2]
موكلةٍ بالدر خرساءَ قد بكى ... إليه من الغوّاص منها نذيرها[3]
فقال ألاقي الموت أو أدرك الغنى ... لنفسي والآجال جاءٍ دهورها

---

(١) الشكير : الزغب (٢) المهيبة : اللجة ، والأجراء : البدن كله .
(٣) الموكلة الخرساء : يريد بها الحية .

ولما رأى ما دونها خاطرتْ به ‏ على الموت نفسٌ لاينام فقيرُها

فأهوى وناباها حوالي يتيمةٍ ‏ هي الموت أودنيا ينادي بشيرها

فألقتْ بكفيه المنيةَ إذ دنا ‏ بعضة أنياب سريع سؤورها

فحرّك أعلى حبلهِ بحشاشةٍ ‏ ومن فوقه خضراء طام بحورها

فما جاء حتى مجّ والماء دونه ‏ من النفس ألواناً عبيطاً نحيرها

إذا ما أرادوا أن يحير مدوفةً ‏ أبى من تقضيٍّ نفسه لا يحيرها[1]

فلما أروْها أمّه هان وجدُها ‏ رجاء الغنى لما أضاء منيرها

وظلتْ تغالاها التجار ولا ترى ‏ لها سيمةً إلاقليلا كثيرها

وقال في قتيلين :

لعمري لقد سلّتْ حنيفةُ سلةَ ‏ سيوفاً أبت يوم الوغى أن تُعَيّرا

جعلن لمسعودٍ وزينبَ أختهِ ‏ رداء وجلباباً من الموت أحمرا

وقال في الشيب :

تفاريق شيب في السواد لوامعٌ ‏ وما خير ليل ليس فيه نجومُ

أنظر أيضاً وصفه حمار الوحش: «أو أخدري فلاة ....»

ديوان الفرزدق طبعة الصاوي ص ٧٤٦ ووصف فقيرة بائسة :

«وسوداء في أهدام .....» الدايوان ص ٦١٩ وتصويره النيل

والفرات زاخرين «ما النيل يضرب بالعبرين ....» ص ٢٨٨

ووصف الذئب : «وأطلس عسّالٍ ...» ص ٨٧٠

---

(١) يحير : يسيغ ، والمدوفة : الترياق .

غزله

غزل الفرزدق على ما فيه من جفاء وفجاجة أصدق ما قال من الشعر ، فهو الذي يكشف الغطاء عن طبع الفرزدق الجافي ونفسه الماجنة الشرهة إلى اللذة . وهو غزل شهواني غير عفيف فيه فجور ومجون وتعهر ، وعاطفة الفرزدق فيه خشنة ، وأمانيه في هواه كذلك ، وتعبيره عن أحاسيسه يحتاج كثيراً من العذوبة والسلاسة ، وهو نفسه يدرك هذه الحاجة ولا ينكرها . سمع مرةً قينةً تغني بشعر جرير فقال : « ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري ، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره »

وأيُّ شاهد أدل على جفاء طبعه في الغزل من قوله :

فيا ليتنا كنا بعيرينِ لا نردْ   على منهل إلا نُشلُّ ونُقذفُ

كلانا به عرٌّ يُخاف قِرافه   على الناس مطليُّ المساعر أخشف

ونظره إلى المرأة لا يشبه نظر الشعراء الغزلين قال :

وما أرى ور كوبُ الخيل يعجبني   كمركبٍ بين دملوج وخلخالِ

قال الجاحظ : (وهذا الفرزدق وكان مستهتراً بالنساء وكان زير غوانٍ وهو في ذلك ليس له بيت واحد في النسيب مذكور)

وكان يعجبه أسلوب عمر بن أبي ربيعة القصصي في الغزل ، سمع مرة شعره فقال : (هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع عليه هذا) وللفرزدق غزل يقص فيه حوادثه الغرامية ، وقد يصف الحوار الذي يدور بين أشخاص تلك الحوادث ، ولاسيما النساء ، ولكن لم تواته الرقة التي واتت ابن أبي ربيعة ، فقصصه الغزلي أشبه بالقصص الغزلي المروي لامرئ القيس .

نعم إن خاصة الوصف قوية عند الفرزدق ، ولكن وصف الحوادث الغرامية يستدعي طبعاً رقيقاً ولغة سهلة ونفساً غزلة ، كما تجد ذلك في شعر ابن أبي ربيعة ووضّاح اليمن . أما الفرزدق وطبعه ورأيه في المرأة وجزالة لغته على ما علمت ، فلا تتوقع أن يشيع غزله في النفس ، أو يعذب قصصه الغرامي في الذوق ، وهاك مثلاً على قصصه الغزلي ، على ما في بعضه من تهر وفجور ، قال :

وَجَوْنٍ عليه الجصُّ فيه مريضةٌ تطلَّع منه النفس والموت حاضرُهْ

حليلةُ ذي ألفينِ شيخٍ يرى لها كثيرَ الذي يُعطي قليلاً يحاقره

أتيتُ لها من مختلٍ كنتُ أدَّري به الوحشَ ما تُخشى عليَّ عواثره

فما زلتُ حتى أصعدتني حبالُها إليها وليلي قد تخامص آخره

فلما اجتمعنا في العلالي بيننا ذكيٌّ أتى من أهل دارينَ تاجره

نقعتُ غليلَ النفس إلاّ لُبانةً ... أبتْ من فؤادي لم ترمها ضمائرُهْ

فلم أرَ منزولاً به بعد هجعة ... ألذَّ قِرىً لولا الذي أنا حاذره

أحاذرُ بوّابينِ قد وكّلا بها ... وأسمر من ساجٍ تئطُّ مسامره

فقلتُ لها كيف النزول فإنني ... أرى الليل قد ولّى وصوّتَ طائره

فقالت أقاليدُ الرتاجينِ عنده ... وطهمانُ بالأبواب كيف تساوره

أبالسيف أم كيف التسنّي لموثقٍ ... عليه رقيب دائب الليل ساهره

فقلت ابتغي من غير ذاك مِحالةً ... وللأمر هيئاتٌ تُصاب مصادره

لعل الذي أصعدتني أن يردّني ... إلى الأرض إن لم يقدر الحَيْنَ قادره

فجاءت بأسبابٍ طوالٍ وأشرفتْ ... قسيمة ذي زور مخوف تراتره

أخذتُ بأطراف الحبال وإنما ... عَلَى لله من عوص لأمور ميسره

فقلتُ اقعدا إن القيام مزلّةٌ ... وشدّا معاً بالحبل إني مخاطره

إذا قلتُ قد نالتُ البلاط تذبذبتْ ... حبالَيَ في نيقٍ مخوفٍ مخاصره

منيف ترى العقبان تقصر دونه ... ودون كُبيدات السماء مناظره

فلما استوت رجلاي في الأرض نادتا ... أحيٌّ يرجّى أم قتيل نحاذره

فقلتُ ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا ... ووليتُ في أعجاز ليلٍ أبادره

هما دلّتاني من ثمانين قامةً ... كما انقضَّ بازٌ أقتمُ الريشِ [illegible]سره

فأصبحتُ في القوم الجلوس وأصبحت ... مغلقةً دوني [illegible] كره

وباتت كَدَوْدَاةِ الجواري وبعلُها كثيرٌ دواعي بطنه وقراقرُهْ
ويحسبها باتت حَصاناً وقد جرتْ لنا بُرَتَاها بالذي أنا شاكره
فيارب إن تغفر لنا ليلة النقا فكل ذنوبي أنت يا رب غافره

وقال :

وبيضٍ كآرام الصريم أدَّريتُهُا بعيني وقد غار السماك وأسحرا
وسود الذرى بيض الوجوه كأنها دمى هَكِرٍ ينضحن مسكاوعنبرا
تراخى بهن الليل يتبعن فاركاً يضيءُ سناها سابرياً مزعفرا
وقلن لها يا هند لا تبعدي بنا فإنا نخاف الليل أن يتقفرا
علينا ونخشى الناس أن يشعروا بنا فيصبح ما نخشى علينا مُشَنَّرا
فحثت ُمن الجنب الجحيش وقد أرى مخـافة من يأتي الرباب وشعفرا
فعاطيننا الأفواه حتى كأنما شربنا براح من أباريق تسترا
فلم أدر ما بردائي حتى إذا انجلى سواد الدجى عن واضح اللون أشقرا
تنعلن أطراف الرياط وواءلتْ مخافةَ سهل الأرض أن يتقفرا
وقلت لهن احذوننا فحذوننا شباريقَ ريطٍ أو رداءً محبَّرا
فلم أر قوماً يحتذون نعالنا ولا مجلساً أحلى حديثاً وانضرا
من المجلس المستأنسين كأنهم لدى حرمل البطحاء جِنّانُ عبقرا

وقال :

نُبِّئْتُ عند الشيخ مهراً يبيعه   من آل الحرون لم نقطع أباجِلُهْ
فلما أتيتُ الشيخ يرجف رأسه   وترعد من بعد المشيب مفاصله
قرأتُ عليه سورة الكهف واقفا   ليأخذَ فيه الحلم والجهل شامله
وأطرقت إطراق الشجاع وشمرتْ   عن الساق تشميراً رقيقاً ذلاذله
فما زلت حتى قال هل أنت نازل   فإنك ممن لا تُخاف غوائله
فلما انبرت للغي والشيخ غافل   من الخدر تخفي شخصها وتضائله
فقلت أبرقٌ لاح في مدلهمةٍ   من الليل أم رئمٌ لطيف أنامله
فبتُّ لها في مرصد كنت أدَّري   به الوحش لا تخشى عليَّ غوائله

ومن غزله الشهواني قوله :

ألا ليتنا نمنا ثمانين حِجةً   تنام معي عُريانةً وأنامُها
ضجيعين مستورينِ والأرض تحتنا   يكون طعامي شمها والتزامها

وقوله وهو أشبه بتعهر امرئ القيس :

وملتفةِ الحاذين مرتجةِ الصلا   سنانيةٍ قد بات تحتي فايقُه
خلوت بها في الحرمل السهل تنتجي   وأعيب ساعات النجي ...
فما زال تحتي نصفها قد قسمته   فريقين حتى جاء جون يسوقها

وقوله :

تقول وساقاها حواليّ إن تردْ مقيلاً إلى الجُلّى تكن أنت أجدرا
ألبس كروعٍ فيّ يشفيك دونه وتصرف عني منك ما كنتُ أحذرا
فلو قلتَ للأروى على شعفاتها كما قلتَ لي همّت ضحىً أن تحدّرا

ومن غزله الحسن قوله :

يا أخت ناجية بن سامة إنني أخشى عليك بنيَّ إن طلبوا دمي
لو كنتِ في كبد السماء لحاولتْ كفّاي مطّلعاً إليك بسلّم
هل تذكرين إذ الركاب مناخةٌ برحالها لرواح أهل الموسم
إذ نحن نخبر بالحواجب بيننا ما في النفوس ونحن لم نتكلم
ولقد رأيتك في المنام ضجيعتي ولثمت من شفتيك أطيب ملثم

وقوله :

منعَ الحياةَ من الرجال وطيبَها حدقٌ تقلّبها النساء مراضُ
وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا حدقَ النساء لنبلها أغراض

وقوله في الحنين :

بكت ناقتي ليلاً فهاج بكاؤها فؤاداً إلى أهل الوديعة أصورا
وحنّتْ حنيناً منكراً هيّجتْ به على ذي هوىً من شوقه ما تنكّرا
فبتنا قعوداً بين ملتزم الهوى وناهي جُمانِ العينِ أن يتحدّرا
تروم على نعمان في الفجر ناقتي وان هي حنّتْ كنتُ بالشوق اعذرا

رثاؤه

رثاء الفرزدق قليل لقلة الجدوى منه ، وهو إذا قيس ببقية أبواب شعره يقع مقصراً عنها لصلابة عاطفة الفرزدق . وما قاله في هذا الباب عن اضطرار أو خوف ينم على قوة ومقدرة ، كرثائه للحجاج وأخيه وابنه ، وما قاله غير مضطر التوى عليه بعضه فجاء صلبا كزًّا كقوله في موت زوجه حدراء :

يقولون زرْ حدراءَ والتربُ دونها — وكيف بشيءٍ وصله قد تقطّعا

ولستُ وإن عزّتْ عليّ بزائر — تراباً على مرموسة قد تضعضعا

وأهونُ مفقود إذا الموت ناله — على المرء من أصحابه مَن تَقَنّعا

ومناقضة الفرزدق لجرير في رثاء زوجه ، دليل على الفرق ما بين نظريهما إلى المرأة ، والبعد ما بين طبعيهما ، قال جرير يرثي امرأته :

ولقد نظرتُ وما تمتّعُ نظرةٍ — في اللحد حيث تمكّن المحفارُ

ولقد أراكِ كُسيتِ أجملَ منظرٍ — ومع الجمال سكينةٌ ووقار

فقال الفرزدق :

تبكي على امرأة وعندك مثلها — قعساء ليس لها عليك نَفارُ

إن الزيارة في الحياة ولا أرى — ميتاً إذا دخل القبور يزار

ولقد هممتَ بسوءة وفعلتَها · في اللحد حيث تمكّن المحفارُ
ورثيتَهـا وفضحتَها في قبرها · ما مثل ذلك تفعل الأخيار

ويدل على تخلفه في هذا الباب أنه لما ماتت زوجه النوار ، وكان يحبها، لم يفتح عليه بما يصح أن يناح به عليها ، فناح عليها النائحات بقصيدة جرير التي رثى بها امرأته . على أن له في رثاء بعض بنيه شعراً يدل على أن الشجي خالط نفسه وألان عاطفته ، فنفث حرقة صادقة تشجي السامع كقوله :

بنيَّ أصابهم قدرُ المنـايا · فهل منهن من أحد مجيري
ولو كانوا بني جبل فماتوا · لأصبح وهو مختشع الصخور
إذا حنّتْ نوار تهيج مني · حرارة مثل ملتهب السعير
حنين الوالهين إذا ذكرنا · فؤادينا اللذينِ مع القبور

وقوله :

يذكرني ابنيَّ السما كانِ موهِناً · إذا ارتفعا بين النجوم التوائمِ

وقوله :

إذا ذُكرتْ أسماؤهم أو دُعوا بها · تكاد حيازيمي تفرّى صلابُها
إذا ذكرتْ عيني الذين همُ لها · قذى هيّج منها البكاء انسكابها
هجرنا بيوتاً أن تزار وأهلُها · عزيز علينا يا نوار اجتنابهـا

ومازلتُ أرمي الحرب حتى تركتها كسيرَ الجناحِ ماتدفُّ عقابُها

ولكن هذا النوع في رثائه غير كثير .

ويستحسن قوله :

فلو أن ميتاً لايموت لعزة على قومه مامات صاحب ذا القبرِ

الأدب والحكمة

للفرزدق في الأدب والحكمة مقدار من الأبيات لابأس به، يشتمل بعضها على رأي صحيح أو حكمة حسنة أو قول يتمثل به ، وهذا الضرب يمثِل الروح العربية في أدبها وحكمتها كقوله :

لايعجبنك دنيا أنت تاركها كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا

يفنى أخوك فلن تلقى له خلفاً والمال بعد ذهاب المال يُكتَسب

وقوله :

أرى كل حيٍّ ميتاً فمودعاً وإن عاش دهراً لم تنبه النوائبُ

وقوله :

سلوتُ عن الدهر الذي كان معجباً ومثل الذي قد كان من دهرنا يُسلي

وأيقنتُ أني لامحالةَ ميت فمتَّبعٌ آثار من قد خلا قبلي

واني الذي لابد أن سيصيبه — حمام المنايا من وفاة ومن قتلِ
فما أنا بالباقي ولا الدهر فاعلمي — براضٍ بما قد كان أذهبَ مِن عقلي
ولا منصفي يوماً فأُدركَ عنده — مظالمه عندي ولا تاركاً أكلي
وأين اخلائي الذين عهدتهم — وكلهم قد كان في غبطة مثلي
دعتهم مقادير فأصبحتُ بعدهم — بقية دهر ليس يُسبق بالذحل

وقوله :

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً — مثلَ الشفيع الذي يأتيك عُرْيانا

وقوله :

فكان كعنز السوء قامت بظلفها — إلى مدية وسط التراب تثيرُها

وقوله :

ألم تعلموا يا آل طوعة أنما — يهيج جليلاتِ الأمورِ دقيقُها

وقوله :

فقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى — كثيراً ولكن لا تلاقى الخلائقُ

وقوله :

وليس شباب بعد شيب براجع — يدَ الدهر حتى يرجع الدرّ حالبُه

وهكذا بقية أبياته المقلّدة وقد سبق إيراد أكثرها .

وللفرزدق ضرب آخر فيه زهد ونسك وتوبة ووعظ وإقرار

بالذنب وزجر للنفس ، وهذا الضرب يمثّل الروح المتأثّرة بالدين ،
وهو في كلا الضربين يمثّل الشاعر الإسلامي في عصر بني أُمية
عصر العروبة المتأثّرة بالإسلام ، من ذلك قوله :

ألا كلُّ شيءٍ في يد الله بالغ — له أجل عن يومه لايحوّل
وان الذي يغترُّ بالله ضائع — ولكن سينجي اللهُ من يتوكّل
تبين ما يخفى على الناس غيبه — ليالٍ وأيامٌ على الناس دُوَّلُ
يبين لك الشيء الذي أنت جاهل — بذلك علاّم به حين نسأل
ألا كل نفس سوف يأتي وراءها — إلى يوم يلقاها الكتاب المؤجّل

وله قصيدة يعلن فيها توبته ويهجو بها ابليس منها قوله :

ألم ترني عاهدتُ ربي وإنني — لبين رتاجٍ قائمٌ ومقامِ
على قسم لاأشتم الدهرَ مسلماً — ولا خارجاً من فيّ سوءُ كلام
ألم ترني والشعرَ أصبح بيننا — دروءٌ من الإسلام ذاتُ حوام
بهن شفى الرحمن صدري وقد جلا — عشا بصري منهن ضوءُ ظلام
فأصبحتُ أسعى في فكاك قلادة — رهينة أوزار عليّ عظام
أُحاذر أن أُدعى وحوضي محلق — إذا كان يوم الوِردِ يومَ خصام
ولم أنته حتى أحاطت خطيئتي — ورائي ودقّتْ للدهور عظامي
أَطعتك ياابليس سبعين حجة — فلما انتهى سيبي وتمّ تمامي

وقال يشكو إلى سليمان بن عبد الملك :

ويجمّرون[1] بغير اعطية في البر مَن بعثوا وفي البحرِ
ويكلِّفون أباعراً ذهبتْ جيفاً بلينَ تقادمَ العصر
حتى غبطنا كل محتمَل يُمشى بأعظمه إلى القبر
وتمنت الأحياء أنهم تحت التراب وجيْ بالحشر
ما أصبحت أرض العراق بها ورق لمختبط ولا قشر

وقال في نهر المبارك الذي حفره خالد بن عبد الله القسري بواسط :

وأهلكتَ مال الله في غير حقه على نهرك المشؤوم غير المباركِ
وتضرب أقواماً صحاحاً ظهورهم وتترك حق الله في ظهر مالك

***

هذه دراسة موجزة للفرزدق شاعر العرب في العصر الأموي ورأس الشعراء الإسلاميين ، لا أدّعي أنها كاملة ولكن أرجو أن تكون صحيحة

---

(١) التجمير : حبس الجيوش في المغازي